

الفصل الأول

المفاهيم الأساسية للصيدلة و تطورها

ويشتمل علي المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف الصيدلة

المبحث الثاني : الصيدلة عند الشعوب القديمة

المبحث الثالث : الصيدلة بعد أبقراط

المبحث الرابع : الصيدلة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم

المبحث الخامس : التطور التاريخي للصيدلة وتشريعاتها في السودان

المبحث الأول

تعريف الصيدلة

ويشتمل علي المطالب التالية :

المطلب الأول : الصيدلة في تضمنها القديم

المطلب الثاني : التطور في العلم المعاصر

المطلب الثالث : الصيدلة في تضمنها المعاصر

المطلب الأول

الصيدلة في تضمنها القديم

الصيدلة[١] لقةً هو لفظ غير عربي ولكنه معرّب ، وأصله هندي جاء للعرب من الفرس وذلك من اللفظ (جندل أو جندن) ، حيث قلبت الجيم صاداً فصارت صندل أو صندن وهو خشب العطر المشهور الذي يجلب من الهند . وقد أيّد ذلك البيروني في كتابه (الصيدنة في الطب) حيث ذكر أن (الصيدلاني والصيدناني) معرّب من (جندلاني أو جندناني) ، ثم حوّرت بمرور الزمن فصار اللفظ الصيدلاني ، ومن يمارسها يلفظ الصيدلي ، والصيدنة تلفظ الصيدلة[٢] .

أما الصيدلة اصطلاحا فتعرف بأنها مهنة علمية تختص بتحضير الدواء ، أو هي علم صناعة الدواء[٣] أو هي علم الدواء[٤]. وقد عرفها البيروني[٥] في كتابه(الصيدنة في الطب) بأنها : معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة أو بحسب ما يريد المؤتمن المصلح . ويعرف الصيدلي بأنه[٦] : المحترف بجمع الأدوية علي أحد صورها وإختيار الأجود من أنواعها مفردة

---

١ . ويقابلها بالإنجليزية. Pharmacy وبالفرنسية. Pharmacie وهي مشتقة من الأصل اليوناني (Pharmakon)

٢ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٢٧١

البيروني : هو أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمي " البيروني ، ولد في ٤ سبتمبر عام ٩٧٣م في مدينة (كاث) عاصمة خوارزم و توفي في غزنة في ١٢ ديسمبر ١٠٤٨م، بعد أن كرّث حياته لخدمة العلم . إرتحل إلي جرجان عام ٩٩٨ م حيث التحق ببلاط السلطان قابوس بن وشمكير . التقى في هذه الفترة بالعالم الجليل ابن سينا وناظره ، تتنوع كتب البيروني في مختلف المجالات . وبالإضافة لقيامه بتأليف العديد من الكتب فقد قام أيضاً بمهمة الترجمة لعدد من الكتب وذلك نظراً لإلمامه بعدد من اللغات ، فقام بنقل بعض الكتب من التراث الهندي والتراث اليوناني إلى اللغة العربية منها كتاب أصول إقليدس ، وكتاب المجسطي لبطليموس . حصل البيروني على التكريم في حياته ، وبعد وفاته من العديد من الهيئات العلمية التي قدرت جهوده العظيمة في مجال العلم ، قال عنه المستشرق سخاو: "إن البيروني أكبر عقلية في التاريخ"، وقيل عنه : "من المستحيل أن يكتمل أي بحث في التاريخ أو الجغرافيا دون الإشادة بأعمال هذا العالم المبدع ".

٣ . الدكتور عمر فروخ . تاريخ العلوم عند العرب ، صفحة ٢٩٤ ، دار العلم للملايين بيروت

٤ . بهزاد جابر . الكافي من تاريخ العلوم عند العرب ص ٥٥ دار مصباح الفكر .

٥ . الدكتور / محمد حسين كامل ، المرجع السابق صفحة ٢٧٠

٦ . المرجع أعلاه صفحة ٢٧٠

ومركبة علي أفضل التراكيب التي خلدها لنا مبرزو أهل الطب . ولقد ذكر إبن البيطار[1] : أن يذكر للأدوية المفردة ماهيتها وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها والمقدار المستعمل من جرمها أو طبيخها والبدل منها عند عدم وجودها . وأضاف كوهين العطار[2] : معرفة زمان ومكان جنيها وكيفية خزنها ونوع الأوعية التي تخزن فيها وما يفسدها وما يصلحها إذا بدأ فيها الفساد وما يمنع فسادها.

من ذلك يمكن القول أن الصيدلة في تضمنها أو مفهومها القديم هي : معرفة العقاقير المفردة بأجناسها وأنواعها وصورها المختارة لها ، وخلط المركبات من الأدوية بكنه نسخها المدونة أو بحسب ما يريد المؤتمن الصالح ، وأن يُذْكَر للأدوية المفردة ماهياتها وقِواها ومنافعها ومضارها ، وإصلاح ضررها ، والمقدار المستعمل من جِرمها أو طبيخها ، والبدل عنها عند عدم وجودها ، ومعرفة زمان ومكان جنيها ، وكيفية خزنها ونوع الأوعية التي تخزن فيها ، وما يصلحها إذا بدأ الفساد فيها وما يمنع فسادها .

والعقاقير ومفردها عَقّار أو عُقّار لغة مشتق من اللفظ (عَقَر فهو عَقّار أو عُقّار) وهو النبات الذي يعقر الإبل في الصحراء أي يسمّها ، ومن ذلك أطلق علي النبات السام ، ثم عممه العرب علي ذات الفوائد الطبية .

بينما يري البعض أن اللفظ عقّار ليس لفظاً عربياً ولكنه من العبرية ومعناه (أصول النبات) ، ويري البعض أنه من السريانية بمعني الأرومة أو الجرثومة ، و يري البعض أنها حبشية ، ثم سوِّي فيه في الكتب بين أصل النبات وفروعه وأدخل فيه ما ليس بنبات .

---

1 . المرجع أعلاه صفحة ٢٧٠

إبن البيطار ، هو أبو محمد عبدالله بن أحمد ضياء الدين الأندلسي ، ولد في ملقة عام ١١٩٧ (أواخر القرن السادس الهجري) وتوفي عام ١٢٤٨ ، وقد تتلمذ علي أبي العباس النباتي ، وبدأ بجمع النبات في منطقة أشبيلية ، ثم سافر إلي شمال أفريقيا ودرس نباتها ، ثم إلي مصر و سوريا ، وآسيا الصغري ودرس نباتها . أشهر كتبه هي (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) و (المغني في الأدوية المفردة)

2 . المرجع أعلاه صفحة ٢٧١

كوهين العطار هو أبو المني بن أبي النصر العطار الإسرائلي ، عاش في مصر في القرن الثالث عشر الميلادي ، ونشر في عام ١٣٦٠ كتاباً أسماه (منهاج الدكان ودستور الأعيان) ، يشتمل علي خمسة وعشرين باباً وقدم في الفصل الحادي والعشرين قائمة بالأدوية المفردة ، كما ذكر في كتابه أنواع المعاجين ، السفوفات ، اللعوقات ، غيرها من الأشكال الصيدلانية ، وتكلم في الباب الأخير عن إمتحان الأدوية المفردة والمركبة ، ووصف حال الجيد منها .

أمّا إصطلاحاً فالعَقّار أو العُقّار والجمع عقاقير [Crude Drugs] هي ما يتداوى به من النبات والشجر ، أو أنها كل نبت ينبت فيه شفاء ، أو أنها المفردات الدوائية الخام نباتية كانت أو حيوانية أو معدنية . والعقاقير لا تشمل المفردات الكيميائية النقية[1] . فالمواد الكيميائية النقية لم تكن قد عرفها العرب بالتحقيق إلاّ قليلاً ، وهي تعرف بالكيمائيات الدوائية [Chemotherapeutics] ويخطيء من يسميها عقاقير[2] .

أمّا الأدوية المركبة فقد إستعمل لها العرب المصطلح أقربازين [3]، أي تركيب الأدوية (ابن سينا) ، أما أقربازين في إستعمالها الحديث فإنها تستعمل لتقابل اللفظ الأفرنجي فارماكولوجي [Pharmacology] وهو العلم الذي يبحث في تأثير الأدوية علي أنسجة وأجسام الكائنات الحية ، والفرق بين مدلول أقربازين القديم والمدلول الحديث واضح.

أمّا الدواء فهو كل ما يستشفي به ، والمتعارف عليه الآن في تعريف الأدوية فهو أنها : مواد تستعمل لعلاج الإنسان أو الحيوان من الأمراض ، أو لتخفيف آلامها والوقاية منها ، أو أنها تستعمل في الأغراض الصيدلية ومستحضراتها[4] .

ذكر الطبري[5] في كتابه (فردوس الحكمة في الطب) عن جالينيوس أنه قال أن كل شيء يتربي به فهو غذاء ، وكل شيء يغير الطبيعة فهو دواء . أما البيروني[٦] فقد ذكر في كتابه (الصيدنة) أن جميع ما يُتناول بقصد أو بجهل فمنقسم في أول الأمر إلي أطعمة وسموم تتوسطها الأدوية ، فالأغذية متكيفة مع القوى الفاعلة والمنفعلة بأول درجاتها الأربعة ، أمّا السموم فإنها تكييف من تلك القوي بأقصى درجاتها وهي الرابعة فعرمت وأستولت علي البدن وأحالته إحالة ممرضة أو مميتة ، والأدوية واقعة في البين لأنها بالإضافة إلي الأغذية مفسدة وإلي السموم مصلحة .

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل ، المرجع السابق صفحة ٢٧٢

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٣٢٧

٣ . المرجع أعلاه صفحة ٢٧٣

٦ . المرجع أعلاه صفحة ٣٢٦

الطبري : هو أبو الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري ، ولد في مرو بفارس عام ٧٨٠ هـ ، إنحدر من أسرة مسيحية و لكنهم إعتنقوا الإسلام ، كان والده طبيباً ، وقد تعمق هو في دراسة الطب ، وعمل بالطب في مدينة الري ، وكتب فيه عدداً من الكتب لعل أشهرها : فردوس الحكمة ، تحفة الملوك ، حفظ الصحة ، الحجامة

ومن رأيي أن هذه التعريف للصيدلة ، وللصيدلي ، وللدواء هي صحيحة حتي اليوم . و أن التمييز بين العقاقير والمواد الكيميائية النقية سليم ، ومهم جداً ، وهو أمر يجهله حتى الصيادلة أنفسهم . كما أن الكثيرين منهم ينطقون العُقّار والعَقّار من غير تشديد القاف ، وهو خطأ لغوي قبيح يجدر أن لا يسقط فيه الصيدلي نفسه . فالعقار من غير تشديد للقاف هي الأرض وما يتصل بها (جمعها عقارات) ، و العَقّار أو العُقّار بتشديد القاف ، هو ما يتداوي به من النبات وغيره (جمعها عقاقير) ، والفرق بينهما شاسع جداً .

المطلب الثاني
التطور في العلم المعاصر

والبداية الحقيقية للصيدلة الحديثة ولكل العلوم الأخري المعاصرة ، ومن بينها الطب والصيدلة يعود الفضل فيه لمبادرة العالمين الكبيرين ليوناردو دافنشي و فرانسيس بيكون[١] ، ، فهما من ابتدرا عصر النهضة الأوربية المعاصرة منذ القرن الخامس عشر الميلادي وما تلاه من قرون إلي يومنا هذا . إن التطور في العلوم الحديثة كلها يعود لمبادرة دافنشي و بيكون ، ولهما تعود حيازة قصب السبق في وضع أسس البحث العلمي المعاصر مما دفع العلم إلي الأمام ليصل إلي ما هو عليه اليوم من التطور والسمُّو . فقد إبتدر دافنشي طريقة للبحث العلمي عرفت : الطريقة العلمية للبحث والتجريب[٢] . وقام بيكون بتطويرها . وبها فتحا الباب واسعاً أمام العلماء ، وبها عبَّدا الطريق أمام المعرفة العلمية المعاصرة .

من العلوم التي استفادت كثيرا من طريقة البحث العلمي الحديثة كانت الكيمياء المعاصرة . فقد بدأ البحث فيها بعد العام ١٦٠٠ متأثراً بالطريقة العلمية التي ابتدرها دافنشي ، وصار علي كل عالم يقوم بالبحث في الكيمياء أن يأخذ مادة أو شيئاً واحداً ، ويقوم بتحديده مستقلاً عن غيره من المواد ويقوم بتحليله ودراسته . وبدأ العلماء كلهم يحللون الأجسام الطبيعية ويدرسونها . فتكشفت لهم الحقيقة التي كانوا عنها يبحثون .

---

١ . ليوناردو دافنشي (Leonardo da Vinci) ، إيطالي الجنسية ، ولد وعاش بين عامي ١٤٥٢ و ١٥١٩ ، إشتهر بأنه رساماً (تنسب له لوحة الموناليزا الشهيرة) ونحاتاً ، وموسيقياً ، ومهندس ، ويعتبر أحد أعظم العباقرة في جميع العصور . وسر عظمته الحقيقية تكمن في أنه أول من حرر العلم من منهج أرسطو في بناء المعرفة ، والقائم علي القياس والتجربة ، وابتدر منهج العلم المعاصر القائم علي الفرضية والتجربة ، وهو المنهج الذي يسير عليه العلم حتي اليوم . وهي حقيقة يجهلها إلاّ القليل القليل من الناس . ومن رأيي أن دافنشي هو أعظم علماء الألفية الثانية .

. فرانسيس بيكون (Francis Bacon) ، إنجليزي الجنسية ، ولد وعاش بين عامي ١٥٦١ و ١٦٢٦ ، كان سياسياً ، وفيلسوفاً ، وعالماً مهتماً بعلم البصريات خاصة ، وقد سلك في بحثه العلمي المنهج الذي إبتدره دافنشي ، والقائم علي الفرضية والتجربة ، ورسخ هذا المنهج في العلم الإنساني ، وسبق في هذا إسحق نيوتن الذي طور منهج دافنشي كثيراً حتي صار ينسب إليه . ويقال : طريقة نيوتن في البحث العلمي .

٢ . لمعرفة طريقة البحث العلمي الحديثة راجع
F.W. Goddard & Kenneth Hutton - School Chemistry for to day Page 521 - London – 1964

لقد كان الناس وحتي بداية القرن السابع عشر يعرفون من العناصر الطبيعية التي نعرفها اليوم ثمانية عناصر فقط هي : الذهب Gold . الفضة Silver ، النحاس Copper ، الحديد Iron ،الزيبق Mercury ، القصدير Tin ، الرصاص Lead ،الكبريت Sulpher وكانوا يسمونها أحجاراً ، ولهذا ما كان في مقدور العلماء معرفة التركيب الكيميائي للأجسام الطبيعية . وبالبداهة من غير معرفة العناصر الكيميائية المكونة للمركبات الكيميائية، ما كان في مقدور العلماء تخليق غيرها ، أو السيطرة عليها وإستغلالها لمصلحة الإنسان .

ولما بدأ العلماء يدرسون المادة من جديد ، ويعرفون خصائصها ، تمكنوا من إكتشاف ثلاثة عناصر أخري هي الزرنيخ Arsenic والأنتمون Antimony والكربون Carbon[1]، فبلغ عدد العناصر الكيميائية المعروفة حتى عام ١٦٥٠ أحد عشرة عنصراً ، وعرف العلماء تماماً الطبيعة الحقيقية للمادة ، وعرفوا أصول الأجسام المادية وطبائعها ، وعرفوا طبيعة العنصر أو الجوهر الحقيقي الذي تتقوم منه المادة (The Matter) ، وأعطوا العنصر الكيميائي تعريفاً محدداً ، وقالوا : إنه ذلك الجزء من المادة الذي لا يمكن تخليقه أو شطره بأية طريقة كيميائية إلى مادة أصغر . وواصل العلماء أبحاثهم فتم إكتشاف أربعة عناصر كيميائية أخرى خلال المائة سنة التالية حتى عام ١٧٥٠ وهي الفسفور ، والبلاتين ، والكوبالت ، والزنك ، فبلغ عدد العناصر الكيميائية المعروفة خمسة عشر عنصراً[2].

وتسارعت الأبحاث العلمية ، فقد إتضحت الرؤيا وبانت معالم الطريق ، وصار البحث العلمي مستقراً ، وأصبحت المعرفة في العلوم الطبيعية أكثر وضوحاً وبساطة ، وإزداد عدد العلماء والباحثين ، وتنامت الأبحاث العلمية ، والمكتشفات العلمية ، فبلغ عدد العناصر الكيميائية بحلول عام ١٨٠٠ سبعة وعشرون عنصراً[٣]، وذلك بإكتشاف إثني عشرة عنصراً جديداً خلال خمسين سنة فقط ، وصاغ دالتون [4]عام ١٨٠٤ القوانين التي تحكم كل التفاعلات

1 – 2 – 3 - Abid Page ٥٢٢

٤ . دالتون : ولد في قرية إنجليزية صغيرة تسمي (إيكزفيلد) عام ١٧٦٦ في أسرة فقيرة ، وقد توفي له شقيقان وهما صغيران نتيجة الجوع والبرد ، أظهر نبوغاً وتميزاً في دروسه منذ الصغر ، سافر إلي كندا عام ١٧٨١ ، درس علي يد العالم جون هوف اللاتينية واليونانية والفرنسية والرياضيات ، وضع في مانشستر جدولاً لمعظم العناصر الكيميائية ، ووضع أول نظرية ذرية علمية ، والتي تعتمد علي قوانين بقاء الكتلة ، وأن المادة تتكون من جسيمات غير قابلة للتجزئة تسمي (الذرات) والتي تتميز بنفس القدرة علي التفاعل الكيميائي . توفي عام ١٨٤٤ م .

الكيميائية ، ووضع نظرية دالتون الذرية . وواصل الكيميائيون أبحاثهم فبلغ عدد العناصر الكيميائية بحلول عام ١٨٥٠ سبعة وخمسين عنصراً (٥٧)[١] وذلك بإضافة ثلاثين عنصراً جديداً . ثم إرتفع عدد العناصر إلى أربعة وثمانين (٨٤)[٢] بحلول عام ١٩٠٠ وذلك بإكتشاف سبعة وعشرين عنصراً جديداً . في خلال القرن العشرين تمكن العلماء من إكتشاف كل بقية العناصر الكيميائية الموجودة في الطبيعة التي يتشكل منها كل الوجود . كما درس العلماء التفاعلات الكيمائية التي تحدث بين العناصر الكيميائية ومع بعضها البعض ، فوجدوا أنها تتحد لتكوّن مركبات كيميائية أكبر مثل الأحماض والقواعد والأملاح بمختلف أشكالها . وهذا الإتحاد قد يكون بين عنصرين كما هو الحال في الماء الذي نشربه والمكوّن من إتحاد عنصر الأكسجين وعنصر الهيدروجين (H_2O) وقد كان يعتبر أحد العناصر الأربع حتي عام ١٧٨١ ، وفيه إستطاع كافندش (Cavendish) أن يكوّن الماء من هذين العنصرين[3] . وملح الطعام الذي نأكله مكوّن من اتحاد عنصري الصوديوم والكلور (NaCl)[٤] . و الرمل (السيليكا) مكوّن من عنصري السيليكون والأكسجين (SiO_2)[٥]

أو قد تتحد العناصر الكيميائية لتكوّن مركبات كيميائية أكبر حجماً مثل الأسبستوس (Asbestos)[٦] والياف النباتات ، أو تكون مركبات أهم مثل الأحماض الأمينية و الأحماض الدهنية ، التي تتكون منها كل أجسام الكائنات الحية بما فيها الإنسان ، أو الجينات .

وبتطور العلوم الحديثة خاصة علم الكيمياء درس العلماء علم الأحياء ، ودرسوا تشريح أجسام الكائنات الحية من نبات وحيوان ، وعرفوا تكوين الخلية الحيوانية والنباتية ، وعرفوا المركبات الكيميائية التي تتقوَّم منها أجسامها ، وعرفوا نشاط كل أعضائها. فالمعرفة الحقيقية للأجسام الحية لم تكتمل إلاّ بعد معرفة الخلية النباتية والحيوانية ، وبعد معرفة الكائنات الدقيقة من نباتات وحيوانات ، والتي لا ترى بالعين المجردة ولا يمكن رؤيتها إلاّ بالمجهر ،ومعرفة

---

١ - ٢ - Abid Page 522

3 . كافندش : هنري كافندش ، إنجليزي الأصل ، ولد في مدينة نيس بفرنسا في يوم ١٠ أكتوبر ١٧٣١ ، كان والده ثرياً ومن اللوردات ، وقد ورث هو نفسه ثروة كبيرة من عمه ، كان فيزيائيا وكيميائياً ، أول من قام بقياس ثابت الجاذبية وتحديد كتلة الأرض ، ومن مؤسسي علم الكيمياء من خلال طريقة ودقة القياسات التي كانت سائدة في تجاربه . توفي في عام ١٧٩٨ م

4 - F.W. Goddard & Kenneth Hutton Abid Page 317

5 - Abid Page 80

6 - Abid Page 432

بنائها الخلوي ، ومعرفة نسيجها العضوي ، ومعرفة نشاطاتها الفيسولوجية والبيوكيميائية .

إن علم الفسيولوجي والبيوكيمياء هو علم دراسة الحياة في ذاتها ، إنها دراسة بناء أعضاء الكائن الحي ، ودراسة وظيفة كل عضو ، بالإضافة إلي دراسة الكائن الحي كله . إن دراسة علم الفسيولوجي يسعي للإجابة علي أسئلة من مثل : كيف ولماذا تنموا النباتات ؟ مالذي يجعل البكتيريا تنقسم ؟ كيف يتحصل السمك عل الهواء في البحر وكيف يستفيد منه ؟ وكيف نهضم الطعام ؟ ماهي طبيعة التفكير في الدماغ ؟ وغيرها من الأسئلة التي تفسر معني الحياة[1] .

حتى الفيروسات ، وهي كائنات دقيقة لا يزيد وزن الواحد منها علي واحد من مليون جزء من البكتيريا وكلاهما لا تري بالعين المجردة ، تتمتع بكل صفات الكائن الحي ؛ إنها تتغذي من محيطها ، وتنموا وتتكاثر ، وتفرز الحصيلة الثانوية (Byproduct) لما يُتغذَّي به .

---

١. لكل وظائف أعضاء الجسم (الهضم ، التنفس ، الدوران) وغيرها راجع :

- Arther C. Guyton − Physiology of the Human Body – Fifth edition - Holt –Sauder Japan

Also see - Samson Wright.s - Applied Physiology - Oxford Medical Publication- Twelfth edition

Also see J.H.green – An Introdtion to Human Physiology – fourth Eddition – Oxford University Press

المطلب الثالث

الصيدلة في تضمنها المعاصر

أمّا الصيدلة في مضمونها المعاصر فتعني بدراسة مفردات الأدوية من نباتية ، وحيوانية ، ومعدنية ، وكيمائية ، ومعرفة شوائبها وغشّها ، والتعرف علي خصائصها وصفاتها ، وكيفية الحصول عليها ، وطرق الحفاظ عليها دون أن يتطرق إليها الفساد . وكذلك طرق تعاطيها وتجهيزها في أشكال وعلي هيئآت تسهِّل تناولها أو تعاطيها وتؤكد مفعولها ، والإحتفاظ بخصائصها ، وكذلك ما تصير إليه في جسم الكائن الحي ، وتأثيرها فيه ، سليماً كان أو عليلاً . وذلك بالإضافة إلى تحضير الأدوية المركبة ، ودراسة توافقها أو عدم توافقها بعضها بعضاً ، وتقوية بعضها بعضاً . ولذلك فالصيدلة الحديثة تتطلب دراسة العلوم الآتية :

علم العقاقير (Pharmacognocy) ويشمل كيمياء العقاقير. وعلم الكيمياء (chemistry) و يشمل الكيمياء الصيدلية ، والكيمياء التحليلية ، والكيمياء العضوية وغير العضوية ، والكيمياء الطبيعية . و علم إدارة الأعمال الصيدلية ، وإقتصاديات العلاج ، والفيزياء ، والنبات ، والحيوان ، ومبادئ الفسيولوجي والباثولوجي والطفيليات والرياضيات والميكانيكا وكذلك الصحة العامة والإسعاف الأولي ، والإحصاء الحيوي ، وقوانين الصيدلة وآدابها [١] .

اليوم صار التكوين العضوي للإنسان ، وكيف يؤدي وظائفه الفسيولوجة ، وأنواع الإختلالات أو الأعطاب التي تلحق به (الأمراض) (Pathology) ، وأسبابها ، وأساليب منعها ، وطرق معالجتها ، وكيف يمكن المحافظة على الإنسان سليماً معافى ، وكيف يمكن تطوير ملكاته الجسمية والعقلية ، كلها صارت معارف بسيطة ومكفولة لكل طالب ، ولكل إنسان في كل مكان .

إن التطور الكبير في العلوم الطبيعية المعاصرة وفي علم الكيمياء خاصة ، مكّن العلماء في الطب والصيدلة من معرفة ملايين المواد الكيميائية التي قد تحدث الضرر بجسم الإنسان،

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٢٦٩

أو تلك التي يمكن أن تكون صالحة لوقاية جسم الإنسان من الأمراض ، أو تزيل عنه المرض أو تخفف من آلامه ، أي معرفة الأدوية ، وتلك هي مهمة الصيدلة الحديث : معرفة الأدوية الحديثة.

والأدوية عادة ما تقسم عند تدريسها أو الكتابة عنها في كتب علم الأدوية (Pharmacology) إمّا بحسب تأثيرها العلاجي علي النحو التالي[١] : مزيلات الألم والحكة . مضادات الإلتهابات . التبنيج (التخدير) الموضعي . الأدوية التي تستعمل لإحداث النوم . التبنيج (التخدير) العام . علاجات الصرع . موجهات الدماغ ومعالجات الأمراض العُصابية والنفسية . أدوية التقيؤ سواء لمنعه أو إحداثه . معالجات الكحة . الأدوية التي تستعمل في أمرض الجهاز التنفسي . أدوية الكليتين ومدرّات البول ومضاداته . الأدوية المستعملة في الجهاز المعدي معوي . الأدوية التي ثؤثر علي الكبد ، أدوية أمراض الدم والأدوية التي تساعد علي تكون الدم . الأدوية التي تعمل علي القلب والأوعية الدموية . منشطات القدّة الدرقية والأدوية المضادة لزيادة نشاطها . الأنسلين والقلوكقون وعلاجات مرض السكري . هرمونات الجنس . هرمونات الغدّة القشرة كظرية . هرمونات القدّة النحامية . الغدة الجنب درقية وتنظيم عنصر الكالسيوم . الفيتمينات والأملاح . أدوية الأمراض الجلدية . العلاج الكيميائي للكائنات المجهرية والدقيقة : البكتيريا ، الفيروسات ، اللولبيات ، الملاريا ، الأميبا ، اللشمانيا ، أمراض المثقبيات ، الديدان ، الفطريات .

أو تقسم بحسب الأعضاء التي يكون تأثيرها أو نشاطها عليها كالآتي[٢]: أمراض الجهاز الهضمي ، أمراض الجهاز القلب وعائي ، الجهاز التنفسي ، الجهاز العصبى المركزي ، الأمراض الناشئة عن التلوث بالكائنات المجهرية ، جهازالغدد الصماء ، التوليد وأمراض النساء ، الجهاز البولي ، الأمراض الخبيثة ومثبطات المناعة ، الغذاء والدم ، الجهاز العصبي عضلي ، العيون ، الأنف والأذن والحنجرة ، الجلد ، الفاكسينات (المحصنات) والمنتجات من أجل المناعة . التبنيج .

وبسبب التطور الكبير في علم الفيزياء والكيمياء والبيولوجي والطب والصيدلة فقد

---

1 - James Crossland - Lewis's Pharmacology - Churchill Livingston London Page 22
2 - Birch National Formulary – 60 – Birch Pharmaceutical Society – September 2010

عرف المتخصصون بناء كل أعضاء جسم الإنسان مهما دقت بما في ذلك مكونات الدماغ ، وعرفوا نشاطها الفسيولوجي والبيوكيميائي ، فنشاط الدماغ والتفكير هو نشاط فسيولوجي بسيط ، وعرفوا أمراضها والأختلالات التي تحدث لها ، وعرفوا ما لا يمكن حصره من المواد الكيميائية

التي تحافظ عليها ، أو تزيل عنها أمراضها (الأدوية) . ولهذا صارت الصيدلة علما ضخماً . وصار لزاماً علي كل شخص يود ممارسة الصيدلة أن يكون ملماً إلماماً تاما بكل العلوم التي يحتاج إليها لمعرفة الصيدلة ولممارستها . إن علي من يريد أن يكون صيدلياً ويمارس مهنة الصيدلة أن يكون علي معرفة عميقة بعلوم من مثل : علم العقاقير (ويشمل كيمياء العقاقير) . والكيمياء (وتشمل الكيمياء الصيدلية ، والكيمياء التحليلية ، والكيمياء العضوية وغير العضوية ، والكيمياء الطبيعية) . والفيزياء ، والنبات ، والحيوان ، ومبادئ الفسيولوجي والباثولوجي والطفيليات والرياضيات . وأن تكون له معرفة بالميكانيكا وكذلك الصحة العامة والإسعاف الأولي والإحصاء الحيوي وإدارة الأعمال الصيدلية ، وإقتصاديات العلاج ، والصيدلة الشرعية وغيرها من العلوم التي لها صلة بمهنة الصيدلة .

ما يستفاد من ذلك :

١ . على من أراد أن يعمل صيدلياً ، أن يكون علي معرفة عميقة بالعلوم الطبيعية الأساسية ، وكل العلوم التي تتصل بجسم الإنسان ونشاطه الفسيولجي وأمراضه ، وكذلك كل ما يتصل بالدواء وصناعته ، و تداوله .

٢ . أن علينا أن ننظم الدواء بطريقة قانونية صحيحة وواضحة ، لنحمي منها الإنسان أولاً ، ونطوره بها من بعد ذلك . وأن نضع لها قواعد وآداب للسلوك تعصم العاملين فيها من الذّلَل أوالإنحراف .

المبحث الثاني
الصيدلة عند الشعوب القديمة

ويشتمل علي المطالب التالية :

المطلب الأول : الصيدلة عند المصريين القدماء

المطلب الثاني : الصيدلة عند البابليين والآشوريين واليونان و في الجاهلية

المطلب الأول

الصيدلة عند المصريين القدماء

أما الصيدله قبل عصر النهضة البشرية المعاصرة ، وقبل القرن الثامن عشر بصورة عامة ، فقد كانت تقوم علي ما وضعه الأطباء اليونانيون من قواعد لعلم الطب وحافظ عليه وطوره الأطباء العرب .

إن الطب اليوناني والطب العربي يمثلان عصراً واحداً من التفكير الطبي ، هو عصر الخبرة الطبية المنطقية علمياً ، إنه عصر دام عشرين قرناً من الزمان وضع أبقراط كلياته ومنهجه ، ثم فصله وفرع عليه جالينوس ، ومارسه الرازي ، ونسقه وأوضحه إبن سينا إيضاحاً ليس بعده مزيد ، إلي أن عرف الناس العلم التجريبي والكيمياء المعاصرة[١]

يقول الدكتور التجاني الماحي عليه الرحمة من الله تعالي علي صفحة الغلاف لكتابه (مقدمة في تاريخ الطب العربي) [٢] : كان الطب معدوماً فأوجده أبقراط ، وميتاً فأحياه جالينيوس ، ومشتتاً فجمعه الرازي ، وناقصاً فأتمه ابن سينا ، قول عربي مأثور .

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ١٨

٢ . دكتور/ التجاني الماحي (مقدمة في تاريخ الطب العربي) الطبعة الأولي يناير ١٩٥٩ علي صفحة الغلاف ، من غير رقم . وكذلك راجع البروفسير / حاج آدم حسن الطاهر . الطب الشرعي في السودان . مطبعة شريح القاضي . صفحة ١١

. أبقراط (Hippocrates) ، يوناني الجنسية ، ولد عام ٤٦٠ ق م ، وتوفي عام ٣٧٧ ق م . كان آخر أسرة أسكلابيوس ، ويعتبر أبو الطب غير منازع ، لأنه أول من فصل الطب عن السحر وعن تقديس أسكلابيوس ، وجعله علماً قائماً بذاته ، ونشره خارج أسرة أسكلابيوس وجعله مشاعاً بين الناس حتي اليوم ، وأول من ربط الطب بالمنهج العلمي ، وربطه بنظرية العناصر الأربعة ، وعزله عن المهارات التي تكتسب بطول التجارب ، وطور الطب كثيراً وألف فيه الكتب العظيمة . كان فاضلاً ، متألهاً ، ناسكاً ، فيلسوفاً ، يعالج المرضي بالحسبة . وأول من وضع للطب قواعد الأخلاق ، وكان جالينيوس يقول : إن من طلب علم أبقراط فليحتذ حذوه في الفضل ، وطلب الفضيلة وتجنب الرذيلة .

جالينيوس (Galen)، ولد عام ١٢٩ م في بيرقامون (Pergamon) في آسيا الصغري ، يوناني الجنسية ،و قد كان والده مهندساً ماهراً ، وديع الطبع لطيف المعشر ، وقد سمي ولده جالينيوس والتي تعني (الهادي) ، كان طبيباً يعد أحد أكبر الأطباء في العصور القديمة ، كان إعجابه بإبقراط عظيماً جداً ففسر أهم كتبه ، وقد أبدي إهتماماً كبيراً بالفحص الإكلنيكي المستند علي الوقائع ، ألف نحواً من أربعمائة مؤلف ، أعدم أكثرها في حريق ولم يتبقى منها غير خمسة وثمانين كتاباً مؤكدة نسبتها إليه ، منها خمسة كتب في الصيدلة ، وله في الصيدلة الترياق المشهور .

لقد كانت الصيدلة والطب متحدين دائماً وفي جميع العصور. فقد كان الطبيب هو من يقوم بفحص المريض وتشخيص مرضه ، ثم يقوم بعد ذلك بتحضير الأدوية الملائمة لعلاجه[١] ، وكان الصيدلي هو الطبيب . ولقد كان كل من أبقراط وجالينيوس والرازي[٢] وابن سينا[٣] طبيباً وصيدلياً في وقت واحد معاً ، وقد اقتدى بهم كل الأطباء الآخرين في كل الشعوب وساروا علي

نهجهم . فقد ترجم العلماء العرب تراث أبقراط وجالينيوس وغيرهما من اليونان وطوروه كثيراً ، وترجم الأوربيون طب الأطباء العرب خاصة الرازي وابن سينا وأستفادوا منه إلي عصر النهضة الأوربية المعاصرة .

والحق إن الطب في الإنسانية كان قديما ، وكان موجوداً قبل أبقراط . فقد عرف الإنسان الدواء منذ أن عرف فوائد النبات ومضاره ، غير أن علماء تاريخ الطب يعتبرون أن البداية الحقيقية للطب كانت علي يد المصريين قبل نحو من خمسة ألف سنة من اليوم . فقد بدأت في وادي النيل طلائع الحضارة الإنسانية الأولي . فقد عرف المصريون في ذلك التاريخ النحاس وستعملوه ، ونجحوا في وضع أسس الكثير من العلوم ومنها الطب والكيمياء.

ويعتبر أمحوتيب (Imhotip) هو أول طبيب جاء ذكره في التاريخ [٤]. كما يقول الدكتور

---

١. الدكتور عمر فروخ تاريخ العلوم عند العرب صفحة ٢٩٤ . الناشر دار العلم للملايين بيروت

٢ . الرازي هو محمد بن محمد بن زكريا الرازي ، ولد في مدينة (مرو) في فارس عام ٨٦٤ م وتوفي عام ٩٢٣ م ، وقد كان أحد أعظم أطباء الإنسانية علي الإطلاق ، درس الرياضيات ، والطب ، والفلك ، والفلسفة ، والمنطق ، والكيمياء ، كتب في فروع الطب والمعرفة ، أعظم كتبه كانت كتاب (تاريخ الطب) (المنصوري) (الأدوية المفردة) ، وله مؤلفات في الصيدلة ساهمت في تقديم علم العقاقير ، ويعتبر كتابه (الحاوي) من أهم كتبه ، يحتوي علي ملخصات كثيرة من مؤلفين إغريق وهنود إضافة إلي تجاربه الخاصة . ظلت كتبه المرجع الرئيس في جامعات هولندة حتي القرن السابع عشر .

٣ . إبن سينا هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن سينا ، ولد عام ٩٨٠ م في مدينة صغيرة بالقرب من بخاري بفارس ، وتوفي عام ١٠٣٧ م (٣٧١ . ٤٢٩ هـ) ، وعاش في فترة هي من أزهي عصور الحضارة العلمية الإسلامية ، وقد عاصر إبن الهيثم والبيروني ، ويعتبر رائداً من رواد الفكر الإنساني ، والمعلم الثالث بعد أرسطو والفارابي ، درس أرسطو وأفلاطون . و إشتهر بالطب ، والفلسفة ، والرياضيات ، والفلك ، وكان يعالج المرضى دون أجر ، أهم كتبه هو كتاب (القانون في الطب) ، وقد قسمه إلي خمس كتب ، الثاني منها خصصه للأدوية المفردة ، والخامس للأدوية المركبة (الأقربازين)

٤ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع أعلاه صفحة ٧

التجاني الماحي[١] أيضاً : أن هرمس الذي قيل أنه إدريس عليه السلام وكان مسكنه صعيد مصر كان أول من نظر في الطب وألف لأهل زمانه كتباً كثيرة . وقال ابن النديم في مقالته السابعة في إبتداء الطب (وأُختلف في أول من استنبط الطب وفي أول الأطباء فقال حنين بن إسحق في تاريخه : قال قوم أن أهل مصر استخرجوا الطب)[٢]

ومن دراسة ما عثر عليه من آثار عند المصريين في أوراق البردي مثل بردية إدوين (Edin) والتي كتبت في العام ١٦٠٠ قبل الميلاد أو بردية إبر (Eber) والتي كتبت في العام ١٥٥٠ ق م ، و بردية هيرست (Hearst) وبردية شستر بيتي (Chester Beaty) . و

١ . المرجع أعلاه صفحة ٧ (نقلاً عن القفطي ص ٦ وإبن أبي أصيبعة ج ٢ ص ١٦)

٢ . حنين إبن إسحق ، هو أبو يزيد حنين بن إسحق العبادي ، كان بارعاً في اللغتين العربية واليونانية ، ترجم عن اليونانية كتب أبقراط وجالينيوس ، وأوضح معانيها فلخصها أحسن تلخيص ، كشف ما إستغلق منها وأوشح مشكلها ، عاس سبعين سنة ، وتوفي في السادس من صفر عام ٢٦٠ هـ

. أمحوتيب عاش في الفترة من ٢٩٨٠ – ٢٩٠٠ ق م ، وأمحوتيب تعني (الذي جاء بسلام) ، وهو من بني هرم زوسر المدرج ، فكان بذلك أول مهندس معماري في التاريج ، وكان أيضاً أول طبيب جاء ذكره في التاريخ ، ويعتبر مؤسس علم الطب . كان عالماً في الطب ، والتحنيط ، وعلم التشريح ، وقد إستخرج العلاج من النباتات ، عمل علي توحيد آلهة المصريين في إله واحد ، ورغم ذلك رفعه المصريون إلي مرتبة اللآهة ، وإصبح إله الطب عندهم .

. هرمس إسم لأحد آلهة اليونان ، ويعرف عن الرومان ب (Mercurius) ، و عند العرب عطارد ، ويزعم المصريون أنه نفس الإله (تحوت) ، وينسبون إليه إختراع كل علم ، ويطلق عليه المسلمون أسم النبي (إدريس) عليه السلام ، و اليهود يسمونه (خنوخ أو أخنوخ) ، ويسميه الحرانيون أنبجهذ

ونضيف : كتب أبو داود سليمان بن حسان الأندلسي المعروف بإبن جلجل : أن الهرامسة ثلاثة : هرمس الأول الذي كان قبل الطوفان وكان مسكنه صعيد مصر ، وأنه أول من نظر في الطب وألف فيه ، وتسميه الفرس أنبجهذ ، ويذكر العبرانيون أنه أخنوخ ، وهو بالعربية إدريس . أما هرمس الثاني والذي كان بعد الطوفان ، فهو من أهل بابل مدينة الكلدانيين وكان بارعاً في الطب والفلسفة وكان تلميذ فيثاغورس الأرثماطيقي وقد جدد في علم الطب والفلسفة وعلم العدد . أما هرمس الثالث ، والذي كان بعد الطوفان فقد سكن مدينة مصر وله كتاب الحيوان ذوات السموم وكان له تلميذ يعرف إسمه اسقلابيوس وكان مسكنه أرض الشامات ، وذكر جالينيوس في كتابه الذي ألف في الحث علي الطب أن الله أوحي إليه (اسقلابيوس) : أنك إلي أن اسميك ملكا أقرب منك إلي أن أسميك إنساناًً . إنتهي كلام إبن جلجل .

ونقول نحن : هذا القول يبين ، مع حقيقة وجود هؤلاء الأشخاص في تاريخ الإنسانية ، أنه ليس كل ما ينسب إليهم قد يكون بالضرورة قد قالوا به ، ففي ذلك التاريخ لم يكن الناس قد عرفوا التدوين ، والنقل الشفاهي يحدث فيه الخلط ، فكثيراً ما ينسب الرواة من كل منطقة (العرب ، الكلدانيين ، المصريين ، اليونان ، العبريين) الحقيقة ذاتها لهرمس الذي يكون منهم ، فهرمس في ذاتها لقب يعني المعلم . وهذا يكشف وحدة العلم والطب في كل التاريخ ، وتداوله بين تلك الشعوب.

من دراسة تلك الوثائق إتضح أن المصريين قد عرفوا بعض الأشكال الصيدلانية وإستعملوها في تحضير الدواء مثل الأقمعة (Suppositories) واللبخ (Poultices) واللزقات (Plasters) ، كما عرفوا العديد من النباتات مثل الأفيون والشوكران (سم سقراط) (Hemlock) والكسبرة وأملاح النحاس وزيت الخروع وكثيرا من الأدوية النباتية مثل الماستك (Mastic) والخندقوق (زهرة اللوتس) (Lotus) وشوكة اليهود (Acanthus) والجادي (الزعفران) (Crocus) وحب الزلم (Cyperus) واليبروج (Mandragora) وغيرها . وكثيراً ما كانوا يستعملون عقاقير مستحضرة من المواد العضوية كإفرازات البول والبراز واللعاب والمادة الصفراوية ، ومساحيق مستحضرة من لحوم الديدان وبعض أنواع الحشرات والثعابين والحيوانات الأليفة[١].

كما يتضح من دراسة هذه الوثائق المختلفة أن قدماء المصريين كانوا يعتمدون في معالجتهم علي الرقي والعزائم والسحر أكثر من إعتمادهم علي العقاقير الطبية ، كما كانوا يجعلون لها المقام الأول . وكان الكهنة يرتلون العزائم قبل مباشرة العلاج . ومن أمثلة ذلك ما ورد في بردية إبر (Eber) (ولقد أتيت من معبد الشمس ومعي شيوخ المعبد المالكون للشفاء والواهبون للأبدية ، أتيت من (سايص) في ركاب الأم المنجبة للآلهة الذين منحوني حماهم . أتيت وفي حقيبتي وصفات من الإله الأكبر تشفي من كل عضال أرادته الآلهة أو الآلهات وتقي من كل سوء سببته أرواح الموتي)[٢]

كما إن الطب عند المصريين ما كان يعرف قانوناً يقوم عليه أو منهجاً يستند إليه . وكان يقوم علي التجربة الشخصية وعلي الحكمة التي يكتسبها الإنسان بطول السنين . وكانت الفكرة السائدة لديهم أن الأمراض تنشأ من غضب آلهتهم أو من تأثير أرواح الموتى وتقمصها لجسد المريض وإمتلاكه ، وأن هذه الأرواح بعد دخولها للجسم منها ما يصيب العظام ، ومنها ما يفتك بالأمعاء ، ومنها ما يشرب دم المريض أو يعيش على لحمه ويموت المريض من جراء فتكها بأجهزته إلاّ إذا كان في الإستطاعة طردها قبل أن تسبب أذى جسيما بجسده . ولذا كان من أهم دعائم علاجهم معرفة الطلسم والسحر لطرد هذه الأرواح الخطرة والقضاء

---

١ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع السابق صفحة ١٠

٢ . المرجع أعلاه صفحة ١١

عليها بالتعاويذ والرقي . ثم يشرع بعد ذلك في ستعمال الدواء والغذاء لمعالجة الأضرار الحسية التي نشأت من دخول الروح الشريرة لجسد المريض . وكانوا يعلقون قطعاً من الحجارة أو الخرز أو الخشب علي رقابهم أو يربطونها بعضو من أعضائهم إتقاءً للمرض[١] . وكان الكهنة يعالجون بالرقي و بقراءة الطلاسم السحرية قبل استعمالها[٢]

١ . المرجع أعلاه صفحة ١١

٢ . الدكتور / بول غليونجي . ابن النفيس طليعة العهد العلمي في الطب صفحة ٣٥ . سلسلة دراسات في التراث العربي . تصدرها وزارة الإرشاد . الكويت

المطلب الثاني

الصيدلة عند البابليين والآشوريين واليونان و في الجاهلية

وكذلك كان هو الحال عند الشعوب التي جاءت بعدهم ، كما في حضارة شعوب ما بين الرافدين لدي البابليين والآشوريين في دجلة والفرات في القرن السابع قبل الميلاد ، والتي كانت معاصرة لحضارة الفراعنة ، وقد خلّفت آثاراً عديدة تدل علي مدى الرقي الذي وصلت إليه علومهم ومن جملتها الطب ، وقد أشار هيرودتس إلى أن البابليين والآشوريين كانوا يحملون مرضاهم إلي الأسواق فيقف بهم العابرون ويسألونهم عما أصابهم فإن كان فيهم ممن أصيب بذلك الداء وشفي خبّر بسبب شفائه أو بما يعلمه من دواء[١]

وقد كان لأكتشاف خرائب مدينة نينوي والعثور علي لوحات الطين التي تتألف منها مكتبة الملك آشوربانيبال (Assourbanipal) (٦٦٨ . ٦٢٦ ق م) فضل عظيم في معرفة حالة الطب في العصور البابلية والآشورية ، وإلي معرفة أمراض عديدة منها السيلان والشلل والجرب والصرع وحموضة المعدة وأمراض المفاصل ، والوصفات الطبية السائدة في ذلك العصر ، وكانوا يقدمون للمرضي بعض الأدوية التي تعاف النفس طعمها ورئحتها وذلك لإعتقادهم أنها وسيلة لطرد الأرواح الشريرة من جسد المريض[٢] .

كما كان الطب في بابل فرعاً من فروع السحر مثل ما كان في مصر القديمة ، ولقد استبط البابليون الكثير من فنونه حتى صار (سحر بابل) مضرب الأمثال ، وإنتشر منهم إلى العالم القديم . يقول الدكتور التجاني الماحي : وفي دراستي لنماذج من الأحجبة والتمائم والرقي المستعملة في السودان قد تبين لي أن أصولها ترجع إلي بابل[٣]. وكان أطباؤهم من طبقة الكهنة الذين يوجهون جل إهتمامهم للمعالجة بالرقى والتعاويذ[٤] زيادة علي تعاطي االدواء لأنهم كانوا يعتقدون أن الأمراض تنشأ من تسلط ارواح شريرة علي جسد المريض .

وكذلك كان حال الطب عند الفرس ، خليطاً من التعازيم والرُقَى وشيء من المبادىء

---

١ . ٢ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع السابق صفحة ١٥

٣ . المرجع أعلاه صفحة ١٨

٤ . الدكتور / بول غليونجي المرجع السابق صفحة ١٧

الطبيعية ، وعندهم أن إله الشر أهريمان (Ahriman) أطلق جميع الأمراض وسلطها علي الناس ، وعارضه إله الخير أهرومازدا (Ahrimazada) وعلم الناس جميع الأدوية الضرورية لحفظ صحتهم

وأمّا الطب عند العرب الجاهليين قبل بعثة المصطفي صلى الله عليه وسلم فقد كان شبيهاً بطب الشعوب حولهم ، فقد نقل العرب الجاهليون أساس طبهم من الشعوب التي تجاورهم وخاصة من الكلدان والفرس والهنود واليونان وأضافوا إلي ذلك ما استنبطوه من تجاربهم فتألف لديهم ما يعبر عنه ب(الطب الجاهلي) . وكان لدي العرب في عصور الجاهلية كغيرهم من الشعوب القديمة طريقتان للعلاج : طريقة الكهنة والعرافين وطريقة العلاج بالعقاقير . وكانت الطريقة الثانية تقوم علي استعمال الأشربة النباتية والمعدنية البسيطة كما كانوا يعتمدون علي

الكي والحجامة والفصد[١]. وقد أشتهر في عصور الجاهلية عدد من أطبائهم وأقدمهم رجل من تيم أزد يسمي إبن حزيم . ومن أشهر أطبائهم الحارث بن كلدة الثقفي[٢] وإبنه النضر بن الحارث وابن أبي رمثة التميمى والشمردل بن قباب وضمادة بن ثعلبة[٣] .

ومن الأعتقادات السائدة في ذلك العصر منها أنهم كانوا إذا خافوا الوباء نهقوا نهيق الحمير ، وكانوا يزعمون أن دماء الملوك تشفي من الكَلَب والخَبَل . ومنها أنهم إذا خافوا علي رجل من الجنون نجسوه بتعليق الأقذار وعظام الموتي . وكانوا إذا طالت علة الواحد منهم ظنوا به مسّاً من الجن لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً ، وصنعوا جمالاً من الطين وجعلوا عليها جوالق ، وملؤها حنطة وشعيراً وتمراً ، وجعلوا تلك الجمال علي باب جحر الي جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك ، فإذا أصبحوا نظروا إلي تلك الجمال الطين ، فإذا رأوا أنها بحالها قالوا لم تقبل فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد

١ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع أعلاه صفحة ٣٥

٢ . الحارث بن كلدة الثقفي ، ولد في مدينة الطائف وتعلم الطب بناحية فارس واليمن وتمرن هناك ، وكان يجيد العزف علي آلة العود الذي تعلمه بفارس ، كان يعد طبيب العرب بلا منازع في أيامه ، ويعتبر أبقراط العرب الجاهليين ، مما ينسب إليه من أقوال : المعدة بيت الداء الحمية رأس الدواء ، وقد كان رسول الله صلي الله عليه يوصي بطلب العلاج عنده ، توفي عام ١٣ هـ

٣ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع أعلاه صفحة ٣٦ و صفحة ٣٨

ما عليها من الميرة قالوا قد قبلت الدية ، واستدلوا علي شفاء المريض[١] .

ونفس الشيء كان حال الطب في عصور اليونان القديمة ، فقد نصبت أساطير اليونان أُبولو (Apollo) [٢] إلهاً للشفاء وطبيباً لآلهة الأولمب يضمد جراحهم ويشفيهم مما بهم من أدواء بعقاره المتخذ من جذور الفاونيا (عود الصليب) (Pleony) ، وكانت له حديقة يزرع فيها أعشابه التي يعالج بها المرضى مثل نبات الخشخاش (Poppy) واليبروج (Mandragora) وخانق الذئب (Aconite) والعشبة (Smilax) . وكانت لأبولو توأمة هي أرتميس (Artemis) ورثت معه القدرة علي شفاء البشر. ثم وهب أبولو وأرتميس شطراّ من علمهما الواسع إلي قنطروس زحل (Centaur Chiron) فأصبح بفضل الآلهة ذا نباهة في الموسيقي ، ودراية في الجراحة ، ومعرفة تامة بأساطير الأولين . فأوكل إليه أبولو أن يكون رائداً لهرقل (Hercules) وجاسون (Jason) وأخيل (Achilles) وغيرهم من أبطال اليونان.

ولأسقلبيوس (Asculapius)[٣] إبنة من الحورية كورونس (Coronis) . فنشأ اسقلبيوس خير نشأة في ظل الآلهة وتحت رعاية قنطروس إلي أن شب ومارس الطب . وبعد موته نصب اليونان باسمه الهياكل وشيدوا له المعابد وأطلقوا عليها اسم الأسقولابي (Asclipieia) وكثر عددها حتي بلغ المئات . كما أشتهرت طائفة من الكهنة أختصت بعبادته وإقتفاء أثره أطلق عليهم إسم اسقلبياد (Asclepiads) . وكان المرضي يساقون الي هياكل أسقلابيوس (الأسقولابي) وتغسل أجسامهم وتمرخ بالأدهان ثم يدخلون إلي المعبد ، فيتقدمون بالقرابين لأسقلابيوس ويذبحونها أمام هيكله وهي من الخراف والديوك حتى إذا حان المساء وإطمأنوا لقبول قرابينهم ساقهم الكهنة إلي حجرة خاصة لقضاء ليلتهم هناك

---

١ . المرجع أعلاه صفحة ٣٩

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٣٤

٣ . المرجع أعلاه صفحة٢١ ، (توفي اسكلابيوس عام ١٢٠٤ ق م)

اسقلابيوس يوناني الأصل ، كان مسكنه مدينة (قو) من أرض الشام وهي مدينة حمص الحالية ، وقد كانت وقتها في حدود دولة اليونان ، تتلمذ علي هرمس الثالث المصري الذي كان بعد الطوفان ، كان اسكلابيوس طبيباً ، وكان له هيكل للعبادة ، والمعروف أن العصي والثعبان التي ترمز للطب هي عصي أسكلابيوس من شجر الخطمي وقد رسم حولها ثعباناً ، توفي عام ١٢٠٤ ق م

فيزورهم أسقلابيوس وهم نيام وينبئهم في حلمهم بما يريدون . وكانوا يحتفظون في هذه المعابد بعدد كبير من الأفاعي المقدسة يطعمونها ويسقونها لأنها حلت بها بركة أسقلابيوس .

هكذا كان الطب عند كل الشعوب القديمة ، يعتمد علي الممارسة المباشرة ، والمعرفة التي تتراكم من التجربة الشخصية ، و كانوا يخلطون الطب بالسحر والتعاويذ. ولكنه في كل الأحوال كان طباً ولكنه لم يكن علماً يقوم علي قانون .

ما كان الطب في تلك الأزمان ، وبين تلك الشعوب علماً مهما أرتفعت درجة صحته . فليس علما الملاحظة الفردية الصائبة ما لم ترتبط الملاحظة بطريقة منظمة ، وليس علماً الوعي العام بأن الأشياء يجب أن تكون بهذا الشكل ما لم يجد التعميم تحليلاً يصوغة في شكل مقولة أو فهم ، وليس علماً أن يكتفي بمجرد معرفة الشيء ما لم يقم ببرهانه . ليس علماً إلاّ المعرفة المنظمة والمحللة والمبرهنة[١] بما في ذلك الطب.

إن هدف العلم هو الحقيقة في ذاتها بينما تهدف التجارب الشخصية والمهارات اليدوية إلي الحقيقة ذات القيمة العملية ، وهذا ما قام به العلماء اليونان وأطباء بخاصة منذ القرن السادس قبل الميلاد وما بعده من قرون.

---

١ . دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . تاريخ الفلسفة . الكتاب الأول صفحة ٤٢ . ترجمة محمد عثمان مكي العجيل ، الناشر دار عزة للنشر . الخرطوم ، تاريخ النشر ٢٠٠٥

المبحث الثالث

الصيدلة بعد أبقراط

ويشتمل علي المطالب التالية :

المطلب الأول : بداية العلم النظري عند طاليس الإيلي

المطلب الثاني : الطب والصيدل عند أبقراط وجالينيوس

المطلب الثالث : أبواب الطب عند المسلمين وفي القرون الوسطي

المطلب الرابع : الصيدلة عند المسلمين وفي القرون الوسطي

المطلب الخامس : الموضوعية العلمية في الطب بعد أبقراط

المطلب الأول

بداية العلم النظري عند طاليس الإيلي

ولقد بدأ الإنتقال من المهارات العملية ومن السحر والطلاسم إلي العلم النظري في كل المعارف في الفترة ما بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد . والذي بدأ هذا التحول هم علماء اليونان ، و أولهم طاليس الإيلي[١] . لقد إهتم طاليس بنشوء العالم وعن بداية العالم ، ليس من زاوية السؤال : من خلق العالم ؟ ولكنه سعى للإجابة علي السؤال : كيف كانت بداية العالم ؟ بمعني : ما هي البداية أو الأساس لكل الأشياء في الطبيعة ؟. وقال : إن كل شيء ناتج عن الماء[٢] . وسعي لتفسير كل الظواهر من منطلق أن بدايتها أو أصلها هو الماء . وكهذا إبتدر طاليس عصر العلم الذي يسعي لتفسير الظواهر والبرهنة عليها من منطلق أن لها

أصلاً واحداً . لقد كان دور طاليس هو وضع السؤال : ما هي طبيعة العالم ؟ ولقد جاء الذين من بعده وكل يسعي لإيجاد التفسير السليم ومعرفة بداية أو أساس أو طبيعة الأشياء .

وجاء من بعده أنكسمانيس[٣] وكان يقول : أن الهواء هو أصل الأشياء كلها .

١ . دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع السابق أعلاه صفحة ٤٣

٢ . الدكتور عمر فروخ المرجع السابق صفحة ٦٨ . و أيضاً دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع أعلاه صفحة ٥٢

. طاليس ، ولد عام ٦٣٤ ق م وتوفي عام ٥٤٧ ق م ، كان يوناني الجنسية ، عاش في عهد سولون ، وكان مثالاً بارزاً لحكمة ومهارة زمانه . كان سياسياً ، وتقنياً ، ومهندساً ، وتاجراً ، ورحالة . وكان فكر طاليس يعبر عن بداية إنسلاخ العلم الإنساني من المهارات ذات القيمة العمَليّة ، ومن أسلوب التفكير الأسطوري ، إلي أسلوب البحث عن الحقيقة لذاتها ، وبداية النظرة العلمية ، ويعتبر أول من فكر في بداية العالم ، أي اساس العالم ، أي أساس الطبيعة ، أي الشيء الذي يوجد وينمو ويتولد . وقال أن الماء هو أساس العالم ، وطاليس هو أول من إشتق المصطلح (فلسفة) ، والذي يعني : حب العلم وإيثار الحكمة .

٣ . الدكتور عمر فروخ . المرجع أعلاه صفحة ٦٨ . و أيضاً دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع أعلاه أعلاه صفحة ٧٦

. أنكسمانيس (Anaxemanis) عاش خلال الفتر من عام ٥٨٥ وحتي عام ٥٢٥ ق م ، وإذا كان طاليس قد فكر في بداية العالم ، أي أساس الطبيعة ، فقد فكر أنكسمانيس في القانون الذي يحكم الأشياء (طبيعة الأشياء) ، وقال أن العالم غير محدود ، وأن الحركة خالدة ، وقد وجد صورة لهذه اللامحدودية في مادة معروفة ومجربة هي الهواء ، أي الروح التي هي سبب حياة الجسد (والتي هي في الواقع نفحة) ، وقال أن الهواء هو مصدر الحياة ، فإذا خف صار ناراً ، وإذا تكثف صار ماءً ثم أرضاً .

أمّا إكسينوفان فكان يقول [١] : إن التراب هو أصل كل شيء . بينما كان هيراكليتس يقول[٢] : أن النار هي أصل كل موجود . وأخيراً جاء من بعد هؤلاء الفلاسفة أمبدقليس وقال[٤] : بأربعة حالات للمادة (الهيولى) هي : النار ، والهواء ، والماء ، والتراب[٣]. وسمي هذه الحالات الأربعة : جذور كل شيء ، وسماها الحيويات ، وسماها العناصر. وأمبدقليس هو مؤسس مفهوم أو نظرية العناصر الأربعة . ومؤسس علم الكيمياء في التاريخ.

ولقد وجدت هذه النظرية لتفسير الظواهر الطبيعية ولأصل بناء الكون قبولاً كبيراً عند الفلاسفة والكيمائيين والعلماء . وقد وجدوا فيها نظرة فلسفية مقبولة لتفسير شكل بناء الأجسام

١ . الدكتور عمر فروخ . المرجع أعلاه صفحة ٦٩ . و أيضاً دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع أعلاه صفحة ٥٥

إكسينوفان عالم يوناني الجنسية ، ولد في أيونيا عام ٥٨٠ ق م وعاش فيها ، و عمّر قرناً كاملاً حتي توفى عام ٤٨٠ ق م . أشترك في الحرب ضد الفرس وهو صغيراً ، و سافر كثيراً ليستقر في شيخوخته في مدينة إليا ، و كان في الأساس شاعراً ، ويعتبر مؤسس الشعر ذي المحتوي الأخلاقي ، كان تلميذاً مباشراً لأنكسماندرس وفي عصره بدأ العلماء يطرحون السؤآل : ما هي طبيعة العالم ؟ ، وقد أعتبر هو أن الأرض (التراب) أساس الطبيعة ، و أصل كل شيء .

٢ . الدكتور عمر فروخ . المرجع أعلاه صفحة ٧٠ . و أيضاً دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع أعلاه أعلاه صفحة ٧٧

هيراكليتس (Heraclitus) : ولد وعاش في القرنين السادس والخامس قبل الميلاد ، وتوفي عام ٤٨٠ ق م . وقد إهتم بالقضايا الإنسانية (المعرفة والأخلاق) ، وإكتشف أن أهم خاصية للعالم هي تنوعه ، وأن كل شيء متغير ، والثابت الوحيد هو التنوع . وقد بحث عن أساس العالم ووجده في النار وذلك لإئتلاف النار مع الحركة . وكان أول فيلسوف يتكلم عن العقل الذي يعمل في الكون كله (لوقوس) . أهم ما تركه أمبدقليس هو قوله : بالتنوع الدائم ، والعقل الكوني (لوقوس) أو (الكلمة) أو (الروح) والتي لعبت دوراً خطيراً في الوعي البشري من بعد ذلك ، ولا زالت

٣ . لقد سبق أن وردت عام ١٥٠٠ قبل ميلاد السيد المسيح عليه الصلاة والسلام ، وبنفس ألفاظها عند العلماء من الهنود ، ولكنهم لم يبنوا علي أساسها علماً كما فعل اليونان

٤ . دكتور/ فوادسواف تاتاركيفتش . المرجع أعلاه أعلاه صفحة ٧٧ . وأيضاًً الدكتور / بول غليونجي المرجع السابق صفحة ٤٩

. أمبدقليس ولد عام ٤٩٠ ق م وتوفي عام ٤٢٤ ق م ، كان طبيباً ، وشاعراً وفيلسوفاً ، وكاهناً إشتهر بالأعمال الخارقة ، ولهذا عده بعضهم كائناً روحياً قريباً من الآلهة . كان تلميذاً مباشراً لبارمنيدس ، وكان يقول : لا يمكن لشيء أن ينشأ من شيء غير موجود ، ومن المستحيل أن يفني ما هو موجود . وقد طور هذا المفهوم إلي التفسير التعددي القائل بوجود أربعة مكونات للعالم هي الماء (طاليس) ، الهواء (إناكسيمانيس) ، النار (هيركليتس) ، التراب (إكسينوفان) ، وأنها مكونات مستقلة ، ولا يستحيل بعضها إلي بعض ، وسماها جذور كل شيء ، وأصبح إسمها (الحيويات) أو (العناصر) ، أو (الأسطقسات) ، ويعتبر مؤسس علم الكيمياء في التاريخ .

وقالوا أن منها إثنان خفيفان هما : النار والهواء ، واثنان ثقيلان هما : التراب (الأرض) والماء[١]. وقالوا : أن لكل عنصر من هذه العناصر الأربعة (سموها أيضاً الأركان أو الأسطقسات) طبائع (أو بسائط أولية ، أو كيفيات) تميزه عن غيره . فالنار طبيعتها أو كيفيتها : الحرارة واليبوسة لهذا فهو يصعد إلى أعلى (النار حار يابس) . والهواء طبيعته أو كيفيته : الحرارة والرطوبة لهذا فهو ينتشر في الأنحاء (الهواء حار رطب) . و الماء طبيعته أو كيفيته : البرودة والرطوبة لهذا فهو ينكمش (الماء بارد رطب). و التراب طبيعته أو كيفيته : البرودة واليبوسة لهذا فهو يرسب (الأرض بارد يابس) . وأن هذه الصفات ثابتة لا تتبدل ، ولا تندثر ، ولا يستحيل بعضها إلى بعض ، وأن الأجسام كلها تتألف من هذه العناصر الأربعة بالتحليل والتركيب والظهور والكمون[٢].

وأن هذه الكيفيات هي التي تكسب العناصر أسباب حركتها . وأن العناصر هي التي تكسب الأجسام الطبيعية صفاتها وأشكال وجودها وبنائها ، وهي التي تميز كل جسم عن غيره . فالأجسام التي تكون النار عنصراً غالباً عليها فهي التي تصعد إلى أعلى ، والتي يكون الهواء عنصراً غالباً عليها فهي التي تنتشر في الأنحاء ، والتي يكون الماء عنصراً غالباً عليها فهي التي تتكمش ، والتي يكون التراب عنصراً غالباً عليها فهي التي ترسب . وهكذا وجد العلماء أساساً فلسفياً وعلمياً لتفسير طبائع الاشياء .

لقد سارت الأنسانية علي ضوء هذه النظرة الفلسفية لبناء الوجود الطبيعي (العالم) وظواهره ، ومقوماته نحواً من عشرين قرناً من الزمان ، وشيد العلماء علي أساسها كل العلوم الأخرى . فقد إبتدر العلماء اليونان بهذه النظرية بداية العلم المؤسس علي القانون الطبيعي. وعن قدماء اليونان أخذ العلماء العرب هذا الفهم الفلسفي للطبيعة والوجود بعد أن قاموا بترجمة كل علوم اليونان وفلسفتهم و نظريتهم عن الوجود . ثم ترجم الأوربيون قبل عصر نهضتهم المعاصرة هذه العلوم عن العرب والمسلمين وساروا عليها حتى عهد قريب

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٣٤٠

٢ . الدكتور عمر فروخ . المرجع السابق صفحة ٧٠

المبحث الثاني

الطب والصيدلة عند أبقراط وجالينيوس

ولما جاء أبقراط أخذ بفلسفة أمبدقليس ونظريته في الكيمياء و بناء الطبيعة(الكون)، وطوّرها وشيّد علي أساسها الطب كله . فمن نظرية العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب ، أدخل نظرية الأخلاط (Humarism) وأهمها : الدم ، والبلغم ، والمرارة السوداء ، والمرارة الصفراء . وأدخل نظرية الأمزجة . وقال[١] : إذا إمتزجت العناصر والأخلاط و الكيفيات في الجسم في تناسق محكم في الكيفية والكمية تمتع الجسم بصحة جيدة وهي حالة الكرايسس (Crasis) (أي الامتزاج) ، أمّا إذا زادت إحدي الكيفيات أو الأخلاط أو نقصت ،

أو أمتنعت عن الإمتزاج بالعناصر الأخري حدث المرض وصار الجسم عليلاً (Dyscrasis) . وأكثر الأمراض تنجم عادة من ازدياد في البرودة أوالحرارة[٢]. ولأبقراط في نظرية الكيفيات والعناصر والأخلاط والأمزجة[٣] : كتاب الأخلاط ، وهو ثلاث مقالات يشرح فيها كمية الأخلاط وكيفياتها .

إن أبقراط ، والذي عاش في العصر الكلاسيكي لليونان أي عصر بركليس ، أسس الطب كله علي هذه النظرية : نظرية أمبدقليس عن العناصر الأربعة ، وكان هذا العصر من أهم العصور لا في تاريخ اليونان فحسب بل في تاربخ الطب الإنساني أجمع . فقد وضعت فيه الدعائم العلمية والأخلاقية التي قامت عليها مهنة الطب في العصور القديمة ولا تزال تستند عليها في عصرنا هذا . إن هذا العصر لم يكن عصرا من عصور اليونان وحدها ولكنه عصر حافل زاهر من عصور الإنسان ، وأهم رجال هذا العصر أبقراط .

كان أبقراط[٤] المعلم الإنساني الأول لمهنة الطب وواضع حجر أساسها ، وتقوم شهرة أبقراط علي أنه كان مرشداً أخلاقياً وعلمياً ، فقد رفع من أدب المهنة وصبغها بالشعور الإنساني النبيل ووضع لها تقاليدها الحسنة ، وليس أدل علي ذلك من قَسمه المشهور الذي لا يزال القسم المعمول به عند الأطباء إلي يومنا هذا . وكان مرشداً علمياً لأنه بني الطب

---

١ . إلي ٤ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق من صفحة ٢٨٣ حتى صفحة ٢٨٨ ، وفيها رصد مقبول لتراث أبقراط العلمي في الطب .

علي أساس التجربة الصحيحة ، وطهّره من الخرافات والأساطير القديمة ، وأخرج المرضي من معابد أسقلبيوس

ولقد ترك أبقرط تراثاً علمياً جليلاً بلغ سبعة وثمانين كتاباً ورسالة في شئون الطب[١] . وقد نقل العرب في أيام نهضتهم عدداً من كتبه منها : كتاب تقدُمة المعرفة بالأعراض اللاحقة بها ، وكتاب الحيلة والتأني في علاج كل واحد منها . وكتاب الفصول ، وعهد أبقراط ، والكسر ، والأمراض الحادة ، والأخلاط ، والأبيديميا (الأمراض الوافدة) ، وكتاب الماء والهواء ، وكتاب طبيعة الإنسان . و كتاب الأجنة ، وكتاب الغذاء ، وكتاب قاطيطرون أي حانوت الطبيب ، كتاب المسهلات (Purgatives) ، مواد مدرة للبول (Diuretics) ، معرقات

(Sudorifica) ، دواء نافع للدود (Vermifuges) ، مخدرات (Narcotics) ، مقيئآت (Emetics) ، أدوية قابضة (Astringents).

وسار علي نهج أبقراط جالينيوس[٢] ، فقد كان جالينيوس شديد الإعجاب بأبقراط ، فطور فهم أبقراط لبناء الجسم القائم علي نظرية العناصر الأربعة بكيفياتها الأربع وطور الطب والصيدلة كثيراً ، ولقد عمّر جالينيوس طويلا ولم يتوقف أبداً أثناء حياته عن التأليف ، وقد بلغ عدد مؤلفاته أربعمائة مؤلف ، أعدم بعضها في حريق ، ولعل أهم مؤلفاته هي : في أن الطبيب يجب أن يكون فيلسوفاً ، كتاب الأسطقسات ، كتاب التشريح الكبير ، كتاب منافع الأعضاء ، كتاب حيلة البرء ، أمّا كتبه في الأدوية فمنها : (في قوي الأدوية المسهلة) وكتاب (الأدوية المفردة) وكتاب (تركيب الأدوية) وكتاب (الأدوية التي يسهل وجودها).

وقد ظهر في تلك الفترة عدد من العشابين (Rhizotomoi))[Herbalists]. منهم ثيوفراسطس (Theophrastus) (٣٧٢– ٢٨٥ ق م) وهو أول من كتب عن النبات بعامة (أبو علم النبات) ، و ديسقوريدس (Diescorides) [٣] ،ويعد (أبو الصيدلة) وقد كان

---

١ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع السابق صفحة ٢٥

عن كتب أبقراط راجع أيضاً أبو داود سليمان بن حيان المعروف بإبن جُلجُل ، كتاب طبقات الأطباء والحكماء صفحة ١٦ . الطبعة الثانية ١٩٨٥ . تحقيق فؤاد سيد . مؤسسة الرسالة للطبع والنشر والتوزيع . بيروت ، لبنان .

٢ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٢٩٧

عن كتب جالينيوس راجع أيضاً إبن جلجل المرجع أعلاه صفحة ٤٢

٣ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع أعلاه صفحة ٢٩١

طبيباً أيضاً ، وله فيها (كتاب الحشائش) ،

أشار الدكتور براستد[١] إلي تقدم علوم الطب في عصر بيركليس الذي عاش فيه أبقراط وقال : ومع عدم وجود مجهر (ميكرسكوب) في ذلك الزمان ، ولا علم كيمياء نري أن الطب قد خطا خطوات مهمة إلي الأمام ، فأول كل شيء أنكر الأطباء اليونان الإعتقاد القديم أن علة الأمراض هي لأرواح الشريرة وبذلوا جهدهم في البحث عن عللها الطبيعية ، ولكي يتمكنوا من ذلك أندفعوا إلي درس أعضاء الجسم وتفهمها وكانوا قد أكتشفوا قبلاً أن الدماغ هو آلة الفكر

إن أبقراط و جالينيوس قادا الطب في طريق العلم . و كل من مارس الطب والصيدلة خلال العشرين قرناً من الزمان قبل القرن الثامن عشر كان ينهل مما تركاه . فقد ترجم الأطباء العرب طبهم وطوروه كثيراً ، وترجمه بعد ذلك عنهم الأطباء الأوربيون .

لقد كان الطب اليوناني والطب العربي يمثلان عصراً واحداً من التفكير الطبي ، هو عصر الخبرة المنظمة عقلياً . وضع أبقراط كلياته ، ثم فصّله وفرّع عليه جالينيوس ، ومارسه الرازي ، ونسقه وأوضحه إبن سينا إيضاحاً ليس بعده مزيد . إلي أن عرف الناس العلم التجريبي وعلم الكيمياء . وقد كان أربعتهم طبيباً وصيدلياً معاً .

و لقد قالوا : إن أخلاط الإنسان ورطوباته ثمانية[٢] : نطفية تبقي من المني الأصلي ، وعضوية مبثوثة كالطل تدفع اليبس الأصلي ، وعرقية تكون من الغذاء الطاريء ، وأخري من الأصلي ، وأربعة تتولد من المتناولات وهي المعروفة بالأخلاط عند الإطلاق ، وأفضلها الدم [Sanguine] وهو الذي يأتي من القلب . وهو حار رطب كالهواء وهو يخْلف المتحلل ،

. ديسقوريدس (Diescorides) يوناني الإصل ، ولد في الشام في بداية ظهور المسيحية ولكن لا يعرف تاريخ ميلاده أو موته علي التحقيق ، وقد أهتم بالمادة الطبية ، فكان أعلم من تكلم في أصل علاج الطب أي الأدوية المفردة ، و أول من إختص بالأعشاب الطبية ، وله فيها (كتاب الحشائش) وقد جمع فيه كل ما ورد في مؤلفات الأطباء قبله من المادة الطبية . وقد ظل (كتاب الحشائش) هو المرجع الأساسي علي مرِّ الأجيال للمادة الطبية . و كتابه كان أول كتاب في النباتات الطبية وأهمها ، لهذا يعد ديسقوريدس (أبو الصيدلة) ، عاش في عزلة ، وكان يسمي (صاجب النفس الزكية) و(السائح) و(الحكيم الحشائشي) .

١ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع أعلاه صفحة ٢٧

٢ . داود بن عمر الأنطاكي (تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب)المعروف (بتذكرة الأنطاكي) الناشر المكتبة الثقافية . بيروت . من غير تاريخ صفحة ١٠

وينمي ويصلح الألوان ومنه طبيعي وهو الأحمر . ويليه البلغم [Phlegm] يأتي من الدماغ وهو في الرئة ، بارد رطب كالماء . الصفراء (المرارة) [Choler] يفرزها الكبد ، حار يابس كالنار . السوداء [Black Bile] تأتي من الطحال والمعدة بارد يابس كالتراب . إن البلغم هو كغذاء لم ينضج ، والدم كغذاء معتدل النضج ، الصفراء كغذاء مجاوز للإستواء ولم يحترق ، السوداء كغذاء محترق .

داود بن عمر الأنطاكي ، هو الشيخ داود الضرير الأنطاكي ، ولد بأنطاكية في القرن العاشر الهجري ، وكانوا يلقبونه بالحكيم الماهر الفريد ، أشهر مؤلفاته كتاب (تذكرة أولي الألباب و الجامع للعجب العجاب) جمع فيه ١٧٠٠ دواء ، وله رأي في طالب العلم يقول فيه : عار علي من وهب المنطق والتمييز أن يطلب رتبة دون الرتبة القصوي . ويقول : كفي بالعلم شرفاً أن كلاً يدعيه وبالجهل ضعة أن الكل يتبرأ منه .

المطلب الثالث

أبواب الطب عند المسلمين وفي القرون الوسطي

و كان الأطباء طوال عصر الحضارة الإسلامية ، و في القرون الوسطي ، من بعد أبقراط ، قبل و من بعد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ، ومنهم الأطباء العرب المسلمين ، في دراستهم للطب يقسمون الطب الى أبواب محددة هي[1] :

أولاً : العلم بالأمور الطبيعية وهي سبعة :

١ . الأركان : وهي أربعة وتعرف بالأسطقصات و العناصر والأصول والأمهات

٢ . الأمزجة : وهي كيفيات متشابهة الأجزاء ، حصلت بتفاعل الأربعة بحيث يكسر كل واحد منها سورة الآخر بلا غلبة

٣ . الأخلاط : والخلط جسم رطب سيال يستحيل اليه الغذاء أولاً . وتبدأ الأخلاط بهضم الأكل في المعدة فتصعد الأبخرة إلي أعلي ويهبط الثقل إلي أسفل .

٤ . الأعضاء : والتي قد تكون مفردة مثل العظم ، أو مركبة تركيباً أولاً مثل العضل ، أو تركيباً ثانياً مثل العين ، أو تركيبا ثالثا مثل الوجه ، أو تركيبا رابعا مثل الرأس

٥ . الأرواح : وهي لا تعني النفس كما يراد في الكتب الإلهية بل تعني جسماً لطيفاً بخارياً يتكون من لطافة الأخلاط كتكون الأعضاء من كثافتها .

٦ . القوى : وهي هيئات في الجسم يمكن بها الفعل والإنفعال ، وقوى الجسم على

---

١ . راجع في تقسيم الطب كتاب : (الموجز في الطب) . لعلاءالدين علي بن أبي الحزم القرشي المتطبب المعروف بابن النفيس . تحقيق الأستاذ عبدالكريم العزباوي . من منشورات لجنة إحياء التراث الإسلامي . المجلس الأعلي للشئون الإسلامية . وزارة الأوقف . جمهورية مصر العربية . القاهرة ١٩٨٦ . وفيه يجد الباحث وصفاً كافياً للطب بعد أبقراط ، وكتاب (الموجز في الطب) هو موجز لكتاب القانون لأبن سينا

إبن النفيس ، هو علاء الدين أبو العلا أبي الحزم القرشي الدمشقي ، ولد عام ٦٠٧ هـ (١٢١٠) وتوفي عام ٦٨٧ هـ (١٢٨٨) ، عاش في فترة حكم الأيوبيين ، وقد كانت دمشق وقتها عاصمة العلم كله ، تتلمذ علي الدخوار وعمران الإسرائيلي ، وزامل إبن إبي أصيبعة ، كان شديد الإعجاب بأبقراط وإبن سينا ، فشرج كتاب القانون في عشرين مجلداً ، ووضع له مختصراً وهو كتاب (الموجز في الطب) وهو المرجع أعلاه ، إبن النفيس هو مكتشف الدورة الدموية الصغري قبل أن يكتشفها وليم هارفي .

ثلاثة أنواع : الطبيعية و النفسية و الحيوانية

٧ . الأفعال : مثل الجذب والدفع والإزدراد وغيرها

ثاتياً . في أحوال البدن : وهو على هيئات ثلاث : حالة الصحة ، و حالة المرض حالة ألاّ صحة ولا مرض كالطفولة والشيخوخة .

ثالثاً : الإسباب :

والأسباب إما أن تكون بدنية إو لا بدنية . وقد تكون ضرورية

رابعاً : العلامات : ومعرفة العلامات الدالة على نوع المرض وماضيه وحاضره هي التي تميز طبيباً عن طبيب ، وتحدد مقدار علم الطبيب وحذقه .

خامسا : علم حفظ الصحة : عن طريق التدبير يستطيع الإنسان أن يحافظ على صحته وقوته ، ويطيل شبابه ، ويبقي نفسه سليماً معافاً أطول زمن . ولكل داء دواء الاّ الهرم و السام وهما الكبر والموت .

سادساً : علم العلاج:

والأدوية ، سواء من النبات أو من الحيوان ، تعرف قواها بطريقتين :

أولاً – القياس :

فيدل منه بوجوه مثل : أ . اللون ، ب . الرائحة ، ج . الطعم

والعلاج يتم بأشياء ثلاث : التدبير ، أعمال اليد ، والأدوية

ثانياً – التجربة :

ويعتقد صدق التجربة إذا كانت على بدن إنسان ، وكان الدواء خاليا من كل كيفية عرضية ، وأستعمل على علل متضادة وبسيطة ، وأن تكون قوته مقاربة إلى قوة العلة ، وأن يكون تأثيره أولاً ، أو دائماً ، أو أكثرياً . وإنما يعتقد صدق التجربة دائما على القياس.

من الألفاظ التي أستعملها الأطباء لوصف تأثير الدواء ، مصطلحات ينبغي الوقوف على معناها ، مثل قولهم : الدواء : لطيف ، هش ، جامد ، سائل ، لعابّي ، دهني ، منشف ، ملطّف ، محلل ، جالٍ ، مخشّن ، مفتح ، مرخٍّ ، منضِّج ، هاضم ، محلل للرياح ، مقطع ، جاذب ، لاذع ، محمر ، محكك ، مقرح ، محرق ، أكّال ، مفتت ، معفن ، كاوٍ، قاشر، مقوٍّ ، رادع ، مغلظ ، مفجج ، مخدر، منفخ ، غسال ، موسخ للقروح ، مزلق ، مملس ، مجفف ، قابض ، عاصر، مسدد ، مفرٍّ ، مدمل ، منبت للحم ، خاتم ، ترياق أو بادزهر[١]

ثم تورد كتب الطب بعد ذلك أسماء الأدوية التى تستعمل مفردة أو مركبة . ننقل مما قاله الانطاكي فى ذلك[٢] : فى أحوال المفردات والمركبات وما ينبغي أن تكون عليه ، اعلم أن هذا الفن هو الفن الأعظم والعمدة الكبرى في الصناعة ، والجاهل به مقلد لا يجوز الركون إليه و الوثوق به ولا فى أمر نفسه ، لاحتمال أن يأكل السم ولم يدر. فإن بعض المفردات فى أشخاصها نفسها منها ما هو سم كالأسود من القاريقون ، والأغبر من الجندباستر ، والأزرق من الحلتيت إلى غير ذلك . ولا شبهة في أن الجاهل بالمفردات يتعذر عليه التركيب لقلة من يثق به بل لعدمه . وأول من ألف شمل هذا النمط وبسط للناس فيه ما بسط ديسقريدوس اليونانى فى

كتابه الموسوم بالمقالات فى الحشائش ، ثم روفس ، ثم فولس ، ثم اندروماخوس ، ثم جالنيوس وهو غير الطبيب المشهور ، ثم انتقلت الصناعة إلى أيدى النصارى فأول من هذب المفردات اليونانية ونقلها إلى اللسان السرياني دويدرس البابلي حتى أتى الفاضل المعرب والكامل المجرب اسحق بن حنين النيسابوري ، معرب اليونانيات والسريانيات وأضاف اليها مصطلح الأقباط لأنه أخذ العلم عن حكماء مصر وأنطاكية وأستخرج مضار الأدوية ومصطلحاتها ثم تلاه ولده حنين . أما النجاشعه فلهم كثير من الكناشات . ثم إنتقلت الصناعة إلى الإسلام ، وأول من وضع الكتب من هذا القسم الإمام محمد بن زكريا الرازي ثم مولانا الفرد الأكمل والمتبحر الأفضل الأمثل الحسين بن عبد الله بن سينا رئيس الحكماء فضلاً عن الأطباء ، فوضع الكتاب الثاني من القانون . ثم ترادف المصنفون فوضعوا فى هذا الفن كتباً كثيرة من أجلها مفردات ابن الأشعث ، وأبى حنيفة ، والشريف بن الجزار، والصائغ ، وجرجس بن يوحنا ، وأمين الدولة ، وابن التلميذ ، وابن البيطار . وأجل هذه الكتب الكتاب الموسوم بمنهاج البيان صناعة الطبيب الفاضل يحي بن

---

١ . علاءالدين بابن النفيس المرجع أعلاه صفحة ٨٠ . وأيضاً الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٣٤٥

١ . داود بن عمر الأنطاكي المرجع السابق صفحة ١٩

جزلة رحمه الله ، وآخر من وضع فى هذا الفن على ما أعلم الحاذق الفاضل محمد بن على الصوري . وأعلم أن أي واحد من هذه المفردات يحتاج إلى قوانين عشرة : ذكر أسمائه بالألسن المختلفة ، وذكر ماهيته من لون ورائحة وطعم ، وذكر جيده ورديئة ، وذكر درجته فى الكيفيات ، وذكر منافعه ، وذكر التصرف به مفردا أو مع غيره ، وذكر مضاره، و ذكر ما يصلحه ، وذكر المقدار المأخوذ منه، وذكر ما يقوم مقامه .

أما الإدريسي[٢] فقد ذكر في كتابه (الجامع لمفردات أشتات النبات) أن (حذّاق الأطباء المتقدمين العارفين بقوى هذه الأدوية المفردة وخواص أفعالها وعامتها حصروا كل ذلك في أربع درجات فقالوا إن من الأدوية ما هو حار يابس ، أو حار رطب ،أو بارد يابس، أو بارد رطب ، وزعموا أن الدواء الحار اليابس : إذا كان منسوباً إلي الدرجة الأولى كان فيه من الحرارة جزءان ومن اليبوسة جزءان ومن الرطوبة جزء واحد ومن البرودة جزء واحد وبالضد في البارد

اليابس . وإن كان الدواء حاراً يابساً في الدرجة الثانية ففيه من الحرارة أربعة أجزاء والرطوبة أربعة أجزاء ومن اليبوسة جزءان ومن البرودة جزءان وبالضد في البارد اليابس . وأن كان الدواء حاراً يابساً في الدرجة الثالثة ففيه من الحرارة ثمانية أجزاء ومن اليبوسة ثمانية أجزاء ومن الرطوبة جزءان ومن البرودة جزءان وبالضد في البارد اليابس . وإن كان الدواء حاراً يابساً في الدرجة الرابعة ففيه من الحرارة ستة عشر جزءا ومن اليبوسة ستة عشر جزءاً ومن الرطوبة جزءان ومن البرودة جزءان وبالضد في اليابس والبارد في هذه الدرجة . وهكذا الدواء الحار الرطب في الدرجة الأولي كان فيه من الحرارة جزءان ومن الرطوبة جزءان ومن البرودة جزء ومن اليبوسة جزء وبالضد في البارد اليابس ، وعلي هذا القانون يجري.

هذا هو جوهر الطب عندهم : معرفة البناء العضوّي لأعضاء الجسم ، ومعرفة كيفياته و أمزجته وأخلاطه واعتدالها ، ومعرفة خروجها عن الاعتدال ، و كيفية رد اعتدالها،

---

٢ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٣٤٣

الإدريسي : أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن بن إدريس ، عالم مسلم شريفي من أهل البيت ، ولد في سبتة في المغرب الأقصي عام ٤٩٣ هـ وتوفي عام ٥٥٩ هـ (١١٠٠ . ١١٦٦ م) . تعلم في البيلق ، طاف البلاد كلها وزار الحجاز ومصر ، ووصل إلي سواحل فرنسا وإنجلترى ، كان عالماً كبيراً في الجغرافيا والطب ، ومن مؤسسي علم الجغرافيا

ولقد درس الأطباء من بعدهم ، ووفق منهجهم (القياس والتجربة) واستناداً إلي فهمهم لطبيعة الأشياء ، مئات أنواع النباتات وأنواع الحيوانات من أجل معرفة كيفياتها والاستعانة بها في معالجة أمراض الإنسان ، وإعادة عدم الإعتدال في المزاج إلى طبيعته . وحددوا النباتات الحارة ، و الباردة ، و الرطبة ، و اليابسة . وحددوا كيفياتها ودرجاتها ، وحددوا أنواع الأمراض التي تحدث نتيجة الحرارة ، أو البرودة ، أو الرطوبة ، أو اليبوسة . ثم قايسوا بين الأمراض ليحددوا حجم الخروج عن الاعتدال ، و حددوا طبيعة النبات ودرجته في الحرارة والبرودة ، وقايسوا بين النبات والمرض ، ثم قاموا بتجريب ذلك النبات على الإنسان ، ولقد ظل : القياس والتجربة ؛ هما وسيلة الطب الأولى للمعرفة والمعالجة لعشرات القرون

المطلب الرابع

الصيدلة عند المسلمين وفي القرون الوسطي

إن الصيدلة هي دراسة مفردات الأدوية من نباتية وحيوانية ومعدنية ، ومعرفة شوائبها وغشها ، ومعرفة صفاتها وخصائصها ، وكيفية الحصول عليها ، وطرق الحفاظ عليها دون أن يتطرق إليها الفساد ، وكذلك طرق تجهيزها في أشكال صيدلانية وعلي هيئات تسهل تناولها أو تعاطيها ، وتؤكد مفعولها والاحتفاظ بخصائصها. وكذلك معرفة ما تصير إليه في جسم الكائن الحي ، وتأثيرها فيه ، سليماً كان أو عليلاً ، وذلك بالإضافة إلي الأدوية المركبة ودراسة توافقها أو عدم توافقها بعضها بعضاً وتقوية بعضها بعضاً ، و معرفة الغش فيها أو تدليسها . وتظل وظيفة الصيدلي (طبيب/ صيدلي) هي معرفة كل ذلك .

يقول الشيرازي في هذا[١] : معرفة تدليس هذا الباب والذي بعده كثير ولا يمكن حصر معرفته علي التمام . فرحم الله من نظر فيه وعرف استخراج غشوشه ، فكتبها في حواشيه تقرباً إلي الله ، فهي أضر علي الخلق من غيره لأن العقاقير والأشربة مختلفة الطبائع والأمزجة ،

والتداوي علي قدر أمزجتها . فمنها ما يصلح لمرض ومزاج ، فإذا أضيف إليها غيرها أحرفها عن مزاجها فأضرت بالمريض لا محالة ، فالواجب علي الصيادلة أن يراقبوا الله عز وجل في ذلك .

وكان الصيادلة يتحققون من أي أجزاء النبات يكون العقار أفيد ، وأقوم ، وأفضل . وكذلك مواعيد جمع العقاقير من النبات وجنيها ، أو قطفها منها ، وكيفية تخزينها محتفظة بفوائدها وقوتها في أثناء خزنها دون أن يتطرق إليها الفساد ، ومعرفة علامات فسادها ، وكذلك انتقاء أجودها ، وفي أي المناطق تكون . ولقد أطنب في هذا الكثيرون كابن سينا وابن ربن الطبري والمجوسي وداود الأنطاكي وكوهين العطار.

من إرشادات ابن سينا مثلاً في هذا المجال[٢] : أن الأدوية بعضها معدنية وبعضها نباتية

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٣١٨ (نقلاً عن كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة للشيرازي صفحة ٤٢ .طبعة العريني)

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٣٢٨

وبعضها حيوانية ، والمعدنية أفضلها ما كان من المعادن المعروفة . والنباتية منها أوراق ، ومنها ثمار ، ومنها بذور ، ومنها أصول وقضبان ، ومنها زهر ومنها صموغ ، ومنها جملة النبات كما هو . فالأوراق يجب أن تجني بعد أخذها من الحجم الذي لها وبقائها علي هيئتها قبل أن يتغير لونها وتتكسر قوتها فضلاً عن أن تسقط وتنتثر . أما البذور فيجب أن تلتقط بعد أن يستحكم جِرمها وتنفشّ عنها الفجاجة المائية ، والأصول يجب أن تؤخذ كما تريد أن يسقط الورق . والقضبان فيجب أن تجني وقد أدركت ولم تأخذ في الذبول والتشنج ، أما الزهر فيجب أن يجني بعد التفتح التام وقبل التذبل والسقوط ، أما الثمار فيجب أن تجني بعد تمام إدراكها وقبل استعدادها للسقوط ، أما المأخوذ بجملته فيجب أن يؤخذ علي غضاضته عند إدراك بذره . وكلما كانت الأصول أقل تشنجاً والقضبان أقل تذبلاً والبذور أسمن وأكثر امتلاء والفواكه أشد اكتنازاً وأرزن فهو فاضل جداً . والمجْتَني في صفاء الهواء أفضل من المجتني في حالة رطوبة الهواء وقرب العهد بالمطر . والبرية كلها أقوي من البستانية وأصغر حجماً ، والجبلية أقوي من البرية والتي مجانيها المروج ، ومشرقات الشمس أقوي من غيرها ، والذي أصاب وقت جناه أقوي من الذي أخطأ زمانه ، وكل ما كان لونه أشبع وطعمه أظهر ورائحته أزكي فهو أقوي في

بابه . وما يلتقط في الصيف كان أقوي مما يلتقط في الشتاء ، وما ينبت في الجبال اليابسة كان أقوي مما ينبت في السهل والرطوبات

وعمم كوهين العطار[١] ذلك فقال : (لا تجتني العقاقير إلاّ بعد استحكام نضجها في مكانها وإكمال إدراكها ، فإن الكاملة الإدراك في مكانها مفيدة ، والفجة قليلة الفائدة) كما ذكر ((يجب تنظيف العقاقير بعد جنيها من طينها وتجفيفها أولاً في الشمس ولا يتم تجفيفها إلاّ في الظل وبهذا تأمن من فسادها ، ولا تضعها قريباً من الشمس فيفسدها حر الهواء و لا في أماكن رطبة أو قريبة من الماء فإنه ينديها ويفسدها بالتعفن . أمّا الصموغ فيجب أن تجني بعد الإنعقاد قبل الجفاف المعد للانفراك ، وقوة أكثرها لا تبقي بعد ثلاث سنوات . وأضاف المجوسي[٢] : أن العصارات ينبغي أن تعتصر من النبات والأوراق الغضة الطرية التي قد أخذت منتهاها واتسعت سوقها ، وما كان من الثمار فلتكن الثمار بالغة نضجة .

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٣٢٩

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٣٢٩

ولقد بتدع الصيادلة العرب طرقاً كثيرة وستعملوها في تحضير وتنقية الأدوية والعقاقير[١] ، مثل التقطير ، والترشيح ، والتكلس ، والتحويل ، والتبخير ، والتصعيد ، والتذويب (الصهر) ، والتبلور ، والتصويل ، والغسل ، وتغليف الحبوب بالذهب والفضة ، والطبخ ، والسحق ، والإحراق بالنار ، والإجماد والتبريد ، والمجاورة مع أدوية أخري لتغيير خصائصها ، والتنقية (مثل الغربلة أو النخل ، التقطير ، الاستنزال ، التصويل) ، التشوية أي التحميص ، التلغيم ، التصدية ، التشميع ، الحل ، العقد وغير ذلك .

كما ابتكروا آلات كثيرة وإستعملوها في صناعة الدواء منها :

أ . آلات التذويب والإجماد (مثل البوط بربوط ، البوتقة ، الراط ، الماسك ، المبرد ، الملعقة ، المقص ، مطرقة ، منفاخ) .

ب . آلات لتدبير العقاقير (مثل الأتون ، أثال ، الإنبيق ، تنور ، حريرة ، درج ، رادوف من الخيش ، سلة ، صلاية ، قارورة ، قدح ، قدور ، إمبيق ذو خطم ، قمع ، كرة ، قنديل ، قنينة ، كانون ، مرجل أي طنجير ، موقد ، مقلاة ، منحل ، مهراس ، الميزان) .

وطوروا كثيراً كيفية صنع (عمل) الأدوية المركبة . و أنواع التركيبات (المستحضرات) الصيدلانية وأشكالها . مثل الأدهان ، والأشربة ، إطريفيلات ، أطرية ، أطياب ، أطيان ، أقراص ، إفشرجات ، أكحال ، إنبيجات ، أيارج ، بخورات ، برودات ، ترياقات ، جبارات ، جلاب ، جلنجينات ، جوارشات ، حبوب ، حقن ، حمولات ، حمامات ، خشافات ، خنديقون ، ذرورات ، ربوبات ، سعوطات ، سفوفات ، سكنجينات ، سنونات ، شيافات ، ضمادات ، غرغرات ، غسولات ، غمر ، غوالي ، فتايل ، فرزجات ، قطورات ، قمايع ، كوامخ ، لعوقات ، لفايف ، مراهم ، مربيات ، مطبوخات ، معاجين ، مغليات ، منقوعات ، مياه عطرية ، ميبات ، ميسوسنات ، نخانخ ، نطولات ، نفوحات ، وجورات .

المجوسي : هو علي بن العباس المجوسي ، أصله فارسي من الأهواز ، إعتنق الإسلام ، عاش في حاشية بني بويه وكان من أشهر أطباء الدولة العباسية ، وضع مؤلفاً في الطب في عشرين جزءً أسماه الكتاب الملكي أو كامل الصناعة في الطب ، توفي عام ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م)

١ . المرجع أعلاه صفحة ٣٥٥

وهكذا نستطيع أن نجمل القول أن الصيدلة قد صارت علماً كبيراً وراسخاً ، عرف فيه الصيادلة الكثير من المادة الطبية ، وطوروها في أشكال صيدلانية رفيعة . وأن الطب البشري في عصر اليونان وفي عصر المسلمين كان طباً واحداً ، مبني كله علي قواعد الكيمياء عند أمبدقليس ، فما بدأه اليونان وبنوه ، حافظ عليه العلماء المسلمون وطوروه . فالعلماء في كل عصر هم أبناء من سبقهم من العلماء ، وأن تراث البشرية في العلم هو تراث واحد .

المطلب الخامس

الموضوعية العلمية في الطب بعد أبقراط

إن الطب بعد أبقراط وجالينيوس ، صار علماً صحيحاً رغم ما يبدوا عليه اليوم من الغرابة والغموض ، ورغم أن الكثيرين لا يستطيعون فهم مصطلحاته ، ولكنه كان علماً . فالعلم مجموعة من المشاهدات ، والكشف عن العلاقات التي تربط هذه المشاهدات بعضها بعضاً . وإلي هذا الحد لا يكون العلم الماضي خطأ ، وإنما يكون ناقصاً . ثم تأتي مشاهدات وقوانين جديدة تتم هذا النقص الذي نشأ من قلة عدد المشاهدات وضيق مدي تطبيق قوانينها . وإنما يأتي الخطأ إلي العلم من التفسيرات التي يضعها العلماء محاولين أن تكون تفسيراتهم شاملة منطقية .

وعلي ذلك لا يكون علم القدماء خطأ إلاّ فيما تعرضوا له من كليات شاملة . أمّا المشاهدات والقوانين التي تربطها فهي دائماً صواب في حدود ما تعرض له ، وقد تكون ناقصة .

ويجب علي دارس العلم أن يدرس تاريخه ، مقتنعاً أن مشاهدات القدماء صحيحة وإن أخطأوا في تفسيرها . كما أن التصورات عندهم تختلف إختلافاً تاماً عما نعرفه نحن الآن، ولكن الفرق يقل كثيراً إذا ذكرنا أمرين : الأول : أنه لم يكن عندهم علم بالكيمياء ، وأنهم لم يقدروا من خواص الأشياء إلاّ ما كان ظاهراً . والثاني : أنه يحسن بنا إذا أردنا أن نفهم رأيهم في وظائف الأعضاء أن نتجنب أكثر المصطلحات التي استعملوها ونصف تصوراتهم بلغتنا الحديثة[١]. ويكفي لفهم ذلك شرح أمور ثلاث : العناصر (ويسمونها أيضاً الأستقصات) وهي أربعة : النار ، الهواء ، الماء ، التراب . الأخلاط : هي السوائل اليوم . المزاج : وهي وظيفة الأعضاء عندنا[٢]. ورغم غموض لغة الأطباء الأقدمين ، وعجز الناس عن فهمها اليوم ، فقد كان طبهم صحيحاً ، فالخلاف ناشئ عن مستوى المعرفة وليس من خطأ

١ . . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ٤٥

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٣٩

في المعرفة ، وإذا ارتاض الطبيب المعاصر علي تلك اللغة فسوف يكتشف عظمة أولئك الرجال .

والواقع إن المزاج ما هو إلاّ قدرة العضو علي أداء وظيفته[١] . فإذا قيل عن العضو أنه قد أصابه سوء مزاج فإن ذلك يعني بحسب علم الفسيولوجي المعاصر أنه قد عجز عن أداء وظيفته الفسيولوجية بطريقة صحيحة . ولقد كان جوهر تصورهم للعمليات الحيوية أنها عملية طبخ تقوم بها الحرارة الغريزية الموجودة في الجسم علي المواد التي أمتصها الدم فتنضجها فتستحيل إلي أخلاط ، والأخلاط ما هي إلاّ سوائل الجسم (Body Fluids)

ما يستفاد مما جاء أعلاه :

١ . أن الطب بعد أبقراط صار علماً صحيحاً ، يقوم علي قواعد علمية وفلسفية محددة يمكن البناء عليها . وكان مؤسساً علي نظرية أمبدقليس في الكيمياء ، وعلي عناصر تكوين العالم و بنائه ، بديلاً للطب الذي كان يقوم علي التجربة الشخصية البسيطة ، والحكمة المكتسبة بطول السنين ، والبعيدة من العلم .

٢ . وأن الطب قد تخلّص تماماً من أثر السحر والتعاويذ والرقي ، وصار علماً قائماً بذاته ، ومستقلاً عن غيره من العلوم .

٣ . خرج الطب بعد أبقراط من هياكل أسقلابيوس ، ومن كهنته ، ومن أسرته بعد أن كان متوارثاً بينهم وحدهم ، وصار منشوراً بين الناس جميعاً.

٤ . صار للطب قواعد أخلاقية وآداب واضحة يجب أن يلتزم بها كل طبيب ، فقد وضع له أبقراط عهده المشهور ، والذي أصبح هو قسماً للأطباء حتي اليوم ، مع التعديلات التي تقتضيها عقائد الناس المختلفة .

---

١ . المرجع أعلاه صفحة ٤٢

المبحث الرابع

الصيدلة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم

ويشتمل علي المطالب التالية :

المطلب الأول : الإعجاز في طبه صلي الله عليه وسلم

المطلب الثاني : منهجه صلي الله عليه وسلم في الطب
المطلب الثالث : رأي العلماء الأقدمين في طبه صلي الله عليه وسلم
المطلب الرابع : بعض الأدوية التي وصفها النبي صلي الله عليه وسلم
المطلب الخامس : الموضوعية العلمية في طبه صلي الله عليه وسلم

المطلب الأول

الإعجاز في طبه صلي الله عليه وسلم

إن الله تعالى قد بعث النبي محمد صلوات الله عليه وسلامه ليهدي الناس إلي الله تعالي ويرشدهم إليه . يقول الإمام الغزالي عليه رضوان الله[١] : سر القرآن ولبابه الأصفي ، ومقصده الأقصى ، دعوة العباد إلي الجبار الأعلى ، رب الآخرة والأولى . ويقول[٢] : وتعريف المدعو إليه وشرح معرفة الله تعالى هو أرفع ما في القرآن الكريم . و يقول ابن القيم[٣] : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما بعث هادياً وداعياً إلي الله ، ومعرفاً بالله .

إن تعريف الناس بالله تعالي وهدايتهم إليه كانت هي رسالة المصطفى صلي الله عليه وسلم . وكانت معجزاته عليه الصلاة والسلام هي ما أقنع به الناس إلى الله تعالى . ولقد عد العلماء أن طبه عليه الصلاة والسلام وعلاجه للناس ، وهو الرجل الأمي والذي لم يقرأ كتاباً ، كان واحدة من معجزاته عليه الصلاة والسلام وأنه وحي من الله تعالي . يقول إبن القيم عن الإعجاز في طب النبي صلي الله عليه وسلم[٤]: إن ها هنا أمراً آخراً نسبة طب الأطباء إلى طبه ، كنسبة طب العجائز والطرقية إلى طبهم ، وقد إعترف به حذاقهم وأئمتهم . فإن ما

١ .٢ . أبوحامد الغزالي(جواهر القرآن) تحقيق لجنة إحياء التراث . دار الآفاق الجديدة بيروت صفحة ٩

٣ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن قيم الجوزية) الطب النبوي . صفحة ١٨ . الناشر دار إحياء التراث العربي . بيروت . بإشراف ومراجعة الأساتذة / عبدالغني عبد الخالق ، أستاذ أصول الفقه والدكتور عادل الأزهري ، رئيس الأمراض الباطنية بمستشفي الملك . ومحمود فرج العقدة ، من علماء الأزهر

إبن القيم ، هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ، ولد في دمشق عام ١٢٩٢ م (في صفر ٦٩٠ هـ) في عائلة عرفت بالعلم والإلتزام الديني ، كان والده قيماً علي المدرسة الجوزية ، ولهذا عرف به (إبن القيم) ، وقد بدأ طلب العلم علي والده ، ثم تتلمذ علي أبن تيمية وتأثر به ، ولهذا كان واضحاً في آرائه ، وقد أمتحن بسببها كثيراً ، وحبس بسببها ، توفي عام ١٣٤٩ م ،

. من الذين كتبوا عن الطب النبوي نجد : إبي نعيم الأصفهاني ، أبي بكر بن السبتي ، وإبن أبي عاصم (الطب والأمراض) . و أبوالحسن علي بن عبد الكريم الحموي ، و الحافظ محي الدين محمد بن أحمد الذهبي ، وشمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بإبن القيم ، وأصحاب الكتب الستة في الحديث ومالك في الموطأ (راجع التجاني الماحي صفحة ٤٣ وابن القيم)

٤ . المصدر أعلاه ص ٦

عندهم من العلم بالطب منهم من يقول : هو القياس ، ومنهم من يقول : هو تجربة ، ومنهم من يقول : هو إلهامات ومنامات وحدث صائب ، ومنهم من يقول : أخذ كثيراً منه من الحيوانات البهيمة . وأين يقع هذا وأمثاله من الوحي الذي يوحيه الله الى رسوله بما ينفعه ويضره ، فنسبة ماعندهم من الطب إلى هذا الوحي كنسبة ماعندهم من العلوم إلى ماجاءت به الأنبياء.

إن إبن القيم يري :

أن ما وصفه النبي عليه الصلاة والسلام من دواء كان بوحي من الله تعالى ، ولم يكن عن قياس ولا عن تجربة ، أو أنه أخذه من تجربة الحيوان البهيم .

ولكن رأْيُ ابن القيم هذا لم يكن مقبولاً علي إطلاقة عند كل العلماء . فهناك علماء يرون أن طبه عليه الصلاة والسلام كان من نوع الطب الموجود في قريته من طب العرب الجاهليين ، و كان من أعماله العادية ، وكان رأياً كمثل رأيه عليه الصلاة والسلام في تأبير النخل ولم يكن شرعاً ملزماً . كما أنه لم يكن بوحي من الله . لعل أوضح قول في هذه المسألة كان رأي ابن خلدون رحمه الله ، وفيه يقول(١): وللبادية من أهل العمران طب يبنونه في غالب الأمر علي تجربة قاصرة علي بعض الأشخاص ، ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه ، وربما يصح منه البعض إلاّ أنه ليس علي قانون طبيعي ، ولا علي موافقة المزاج ، وكان عند العرب من هذا الطب كثير ، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره ، والطب المنقول في

الشرعيات من هذا القبيل ، وليس من الوحي في شيء ، وإنما هو أمر كان عادياً للعرب . ... وليس ذلك من الطب المزاجي .

والرأي عندنا : إن ما ذهب إليه ابن خلدون سامحه الله ومن يرون رأيه ، كان خطأً كبيراً ، وأن قول ابن القيم رحمه الله كان هو القول الصواب وذلك من جانبين :

---

١ . عبدالرحمن بن خَلدون .كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر . المجلد الأول (المشهور بمقدمة إبن خلدون) صفحة ٩١٩ الطبعة الثالثة . مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني . بيروت ١٩٦٧

إبن خلدون ، هو عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ، ولد في تونس عام ١٣٣٢ م (٧٣٢ هـ) ، ولقد كانت أسرته أسرة علم و أدب ، كان أبوه معلمه ، قد شغل أجداده مناصب سياسية كبيرة ، وكانوا أهل جاه ونفوذ ، وقد تولي بن خلدون قضاء المالكية ، وكان إبن خلدون مؤرخاً ، يعتبر مؤسس علم الإجتماع الحديث ، إبتكر فلسفة التاريخ ، ومؤلفه المشار إليه يمثل ظهور علم التاريخ الحديث ، ترك ترثاً ما زال تأثيره قائماً ، توفي في مصر عام ١٤٠٦ م

أول أخطاء ابن خلدون قوله : إن طبه عليه الصلاة والسلام (ليس علي قانون طبيعي ولا علي موافقة المزاج) ، و أنه (مبني علي تجربة قاصرة ، ومتوارثاً عن مشائخ الحي ، وعادياً عند العرب)

ثانيهما قوله : أن ما جاء في طب النبي صلى الله عليه لم يكن وحياً من الله تعالي . وقد غاب عن ابن خلدون رحمه الله وسامحه ، أن النبي صلي الله عليه وسلم ما كان ينطق عن الهوي ، ولم يعلمه الطب إنسان ، وليس في قريته معهد للطب .

ولتوضيح ذلك نقول : لقد كان الطب علي أيام رسالة المصطفي صلى الله عليه وسلم علي نوعين :

أ . الطب الذي يقوم علي تجربة قاصرة علي بعض الأشخاص ، والمتوارث عن مشائخ الحي وعجائزه ، والممزوج بالسحر والشعوذة والتمائم ، والإعتقاد في تأثير الآباء والأجداد وفي فعل الشياطين ، والذي يقوم الدواء فيه بطرد الشياطين أوكسب رضاها أو كسب رضاء الجدود والخالي تماماً من المنهج العلمي.

ب . الطب الذي كان علماً ، و القائم علي نظرية العناصر الأربعة والطبائع الأربع ، المتشكلة في أعضاء وأخلاط لها أمزجة محددة ، طب أبقراط وجالينيوس المؤسس علي قواعد كيمياء أمبدقليس ، وقواعد علمية ، والذي يقوم العلاج فيه علي علم ومعرفة وموضوعية ، ووفق القانون الطبيعي ، مهما كان ضعيفاً أو كان مختلفاً عن طبنا اليوم .

و أول ما أود تأكيده هنا هو : أن طبه صلى الله عليه وسلم كان علماً ، مبني علي قواعد موضوعية ، ووفق القانون الطبيعي الذي كان معروفاً علي عهد رسالته ، شبيها تماماً بطب أبقراط وجالينيوس المؤسس علي قواعد كيمياء أمبدقليس .

ومن رأيي أيضاً أن هذه واحدة من معجزاته صلى الله عليه وسلم ، ودليلاً علي نبوته . والتي يقع علي بيانها ، فأنا لم أعثر عليها ، بنفس الكيفية التي أعرضها بها في مرجع من قبل ذلك .

المطلب الثاني

منهجه صلي الله عليه وسلم في الطب

نعيد السؤال : علي أي المنهجين ، الذين أشرنا إليهما في نهاية المطلب السابق ، كان يقوم الطب والصيدلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ .

ونحن نجيب : لقد كان الطب والصيدلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً قائماً علي أسس علمية واضحة ، وكان مشيّداً علي أسس فلسفية وعلمية صحيحة . وهي فلسفة وكيمياء أمبدقليس ونظرية العناصر الأربعة : النار والهواء والماء والتراب ، والطبائع الأربعة : الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ، وعلي طب أبقراط وجالينيوس ، الطب الذي سار عليه الأطباء من بعدهما ، ولم يكن طبه عليه الصلاة والسلام : (طباً متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزه ، و ربما يصح منه البعض ، و أنه ليس علي قانون طبيعي ولا علي موافقة المزاج) كما كان يري إبن خلدون عفاه الله . وقد تجسدت العلمية والموضوعية ، والقانون العلمي في الطب عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في مظهرين واضحين :

أول هذين المظهرين : لقد ميز الرسول صلي الله عليه وسلم بين الطب و بين السحر والشعوذة والتَّطيُّر و تعليق التمائم وكل ما كان يحيط بالطب في مجتمعه ، وفصل بينهما تماماً ، بل عد ممارسة السحر محرماً عند الله تعالي في كل أمر وليس في الطب وحده ، وعدَّ

السحر من الموبقات السبع جنباً إلي جنب الكفر بالله ، وأكل الربا . روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال[١] : أجتنبوا السبع الموبقات ، قيل يارسول الله وما هن ؟ قال : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات المؤمنات .

---

١ . صحيح البخاري . أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري . حديث رقم ٥٧٦٤ ورقم ٢٧٦٧ . مطبعة دار الحديث . القاهرة ، وأيضاً صحيح مسلم . أبوالحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري . حديث رقم ٦٤٦٥ ، ورقم ١١٢٩٧ . مكتبة دار الشروق لأبحاث ودراسات التراث الإسلامي .

وقال عليه الصلاة والسلام [١]: (إن الله لم ينزل الداء ، إلاّ أنزل له شفاء ، علمه من علمه وجهله من جهله). ولما كان السحر هو أحد الموبقات السبع ، فهو حرام مثلهن ، ولا يمكن أن يكون مما أنزل الله من شفاء ، وبهذا أغلق صلى الله عليه وسلم الباب تماماً في وجه من يخلط بين الطب وبين السحر من المسلمين ، وفي وجه من يبحث عن الشفاء بكسب ودَّ الشياطين ، أو بدفع ضررها بالشعوذة وتعليق التمائم .

وكان عليه الصلاة والسلام يعدُّ كل مرض هو تغير طبيعي يمكن معالجته بالدواء الطبيعي وأن لكل داء دواء . روي عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً وأنا معه فقال ألا ندعوا لك طبيباً ، قال وأنت تأمر بهذا يا رسول الله ، قال : نعم إن الله لم ينزل داء إلاّ وأنزل له دواء[٢]. وهو قول يفوق أرفع ما يمكن أن يقول به عالم في الطب أو متخصص فيه اليوم .

صحيح لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسأل الله تعالى للناس الشفاء من المرض ، وكان يأمر بذلك ، وكان يأذن لصحابته بأن يرقى المسلمون مرضاهم بالقرآن . ولكن ذلك ليس من باب الخلط بين الدين وبين الطب ، ولكنه من باب تأكيد : أن الله هو الحق ، وأن الدين حق . و في ذلك يقول إبن القيم[٣] : وأن صدق المؤمن في استسلامه لله ، وإعتماده على الله ، والتوكل عليه ، والالتجاء إليه ، والإنكسار بين يديه ، والتذلل له ، والصدق في الدعاء ، وكثرة الاستغفار ، والإحسان إلى الخلق ، وإغاثة الملهوف ، والتفريج عن المكروب ،

لها من التاثير في الشفاء ما لم يصل إليه علم أعلم الأطباء ، ولا تجربتهم ، ولا قياسهم . ويقول : وقد جربنا نحن وغيرنا من هذه الأمور أموراً كثيرة ، ورأيناها تفعل ما لاتفعله الأدوية الحسية ، بل تعتبر الأدوية الحسية عندها بمنزلة أدوية الطرقية و العجائز الى طب الأطباء.

---

١ . سنن النسائي . أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب . حديث رقم ٧٥١٣ . طباعة مؤسسة الرسالة ، وفي مسند الإمام أحمد . أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . حديث رقم ٤٣٣٤ ، ٣٩٢٢ ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع . بيروت .

٢ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع السابق صفحة ٤١ (نقلاً عن تاريخ بقداد للخطيب البقدادي)

٣ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن القيم) المرجع السابق صفحة ٧

ونضيف نحن : إن من كان سعيداً وآتاه الله الحكمة ، فعليه أن يسعي في هذا الطريق وهو صادق ، وعقله مخلص لله تعالي ، ويومها سوف يعلم أن الدين حق ، وأن الله هو الحق

ثاني هذين المظهرين : إن القرآن الكريم قد أقر كل الأسس الفلسفية للعلم الطبيعي التي كانت سائدة قبل أيام بعثته صلى الله عليه وسلم ، وكل أسس الكيمياء عند أمبدقليس والتي كانت أساس العلم الطبيعي والمادي علي عهد نزول القرآن . وأقر كل أسس الطب القائم علي قواعد علمية وموضوعية علي عهد نزوله وهي أسس و قواعد طب أبقراط وجالينيوس : العناصر ، والأمزجة ، والطبائع ، و الأخلاط ، والأعضاء ، والعلاج . وعمل صلي الله عليه وسلم بحسب أبواب الطب التي كان معمولاً بها و التي ذكرناها أعلاه ، وسوف نوضحها لاحقاً في طبه صلي الله عليه وسلم .

فعن عنصر التراب وهو أحد أركان الكون الأربع (الأسطقسات) التي منها يتكون الوجود والإنسان ، يقول الحق عز وجل في محكم الكتاب الكريم : **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)**[1] ، ويقول تعالي . **(قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ)** . وعن عنصر الماء يقول الله تعالى : **(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلُّ شَئ حَيٍّ)**[2]. وفي هذا يقول إبن القيم رحمه الله[3] : الماء مادة الحياة ، وسيد الشراب ، وأحد أركان العالم ، بل ركنه الأصلي : فإن السموات خلقت من بخاره ، والأرض من زبده ، وقد جعل الله منه كل شيء حي.

وفي آيات أخري يجمع القرآن الكريم بين عنصري الماء والتراب من عناصر

١ . سورة آل عمران آية رقم ٥٩

٢ . سورة الكهف آية رقم37 . . أيضاً الآيات (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ) سورة الحج آية رقم ٥ . (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ)سورة الروم آية رقم ٢٦. (وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ)سورة فاطر آية رقم ١١ ، (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ) سورة عافر آية رقم ٦٧

٢ . سورة الانبياء آية رقم ٣٠ .

أيضاً الآيات : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ) سورة النور آية رقم ٤٥ . (وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً) سورة الفرقان آية رقم ٥٤ .

٣ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن القيم) المصدر السابق صفحة ٣٠٢

الوجود الطبيعي (الطين) . يقول الله تعالى في كتابه الحكيم : **(هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ)**[١]. ويقول تعالى : (**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ)**[٢] . وعن عنصر الهواء يقول القرآن الكريم : **(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ)**[٣] (**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ونَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِى)**[٤] . أمّا عن الأخلاط (الأمشاج) فيقول الله تعالي تعالى: **(خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)**[٥] . و يقول تعالي : **(إِنَّا خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ)**[٦]

---

١ . سورة الأنعام آية رقم ٢ . أيضاً الآيات : . (قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُد إِذْ أَمَرْتُكَ قالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) سورة الأعراف ١٢ آية رقم (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ) سورة المؤمنون آية رقم ١٢ . (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ) سورة السجدة آية رقم ٧ . (فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لازِبٍ) سورة الصافات آية رقم ١١ . (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِن طِينٍ) سورة ص آية رقم ١٦. (قالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ) سورة ص آية رقم ٧٦. (فسَجَدُوا إلاّ إِبْلِيسَ قَال ءأسْجُدُ لِمَن خَلَقْتَ طِينَاً) سورة الاسراء آية رقم ٦١.

٢ . سورة الحجر آية رقم ٢٦ . و أيضاً الآيات : (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ) سورة الحجر آية رقم ٢٨ . (قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خِلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ) سورة الحجر آية رقم ٣٣ . (خَلَقَ الإنسَانَ مِن صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ) سورة الرحمن آية رقم ١٤ . والصلصال هو الطين الذي جف وصارت له صلصلة مثل صلصلة الفخار . (راجع شرح هذه الآيات من سورة الحجر في شرح إبن كثير)

٣ . سورة السجدة آية رقم ٩ .

٤ . سورة الحجر آية رقم ٢٩ . و الآيات : (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ) سورة آل عمران آية رقم ٤٩ ، والنفخ والنَفَس ، والريح والروح ، والنفْس كلها قريب من قريب

٥ . سورة الطارق آية رقم (٦) و آية رقم (٧) .

٦ . سورة الإنسان آية رقم ٢ ، أيضاً الآيات : (ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاء مَّهِينٍ) سورة السجدة آية رقم ٨ . (**ألم نخلقلكم من ماء مهين**) سورة المرسلات آية رقم ٢٠ . (خلق الإنسان من نطفة) سورة النحل آية رقم ٤ . (قَالَ لَهُ

صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً) سورة الكهف آية رقم ٣٧ (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) سورة الحج آية رقم ٥ . (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ) سورة المؤمنون آية رقم ١٣. (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) سورة المؤمنون آية رقم ١٤ . (وَاللهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ) سورة فاطر آية رقم ١١ . (أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ) سورة يس آية رقم ٧٧ . (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى) سورة القيامة آية رقم ٣٧ . (مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ) سورة عبس آية رقم ١٩ . والأمشاج هي الأخلاط والمني (الماء المهين) (الماء الدافق) هو واحد من أخلاط جسم الإنسان الثمانية بحسب قواعد طب أبقراط السائد قبل بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام (راجع الأنطاكي أعلاه)

أمّا عن تكوين الإنسان وبقية أعضائه فيقول الله تعالي: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ**) [1].

أما عن الطبائع الأربع : الحرارة والبرودة والرطوبة والجفاف ، فإن إبن القيم رحمه الله يورد الحديث عن رسول الله صلي الله عليه وسلم [2]: روي أبوداود والترمذي . عن النبي صلى الله عليه وسلم : أنه كان يأكل البطيخ بالرطب ، و يقول (يدفع حر هذا برد هذا) . ورغم أن هذا الحديث يتكلم عن كيفيتين فقط هما الحرارة والبرودة إلاّ أنهما تكفيان تماماً للتدليل بأخذ النبي صلي الله عليه وسلم بالكيفيات الأربع ، لأن الحرارة والبرودة هي أساس الطب و أساس العلاج فيه .

تلك هي عناصر بناء الوجود الطبيعي ، وعناصر بناء جسم الإنسان : النار ، الهواء ، الماء ، التراب . وتلك هي أخلاطه ، وأمزجته بحسب قواعد العلم الموضوعي الذي كان قائما في ذاك الزمان : كيمياء أمبدقليس ، وطب أبقراط وجالينيوس .

كلها وردت علي لسان رجل أمي ، ما قرأ كتاباً من قبل ذلك ، وما كان قارئاً أصلاً ، ولم يعلمه إنسان . وما كان في قريته أو في بلاده كلها معهد لتدريس الفلسفة ، أو تدريس قواعد العلم الطبيعي أو الطب ، وقد وردت كامله ، وواضحة ، وبسيطة في القرآن الكريم ، فهل هنالك إعجاز فوق هذا ؟.

١ . سورة الحج آية رقم ٥ ، و أيضاً الآيات (خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ) سورة العلق آية رقم ٢ . (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً) سورة عافر آية رقم ٦٧ ، (ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى) سورة القيامة آية رقم ٣٨ ، (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) سورة المؤمنون آية رقم ١٤ .

٢ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٢٢١. الحديث في سنن الترمذي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ١٩٠٤

مطلب الثالث

راي العلماء الأقدمين في طبه صلي الله عليه وسلم

وهذا ما ذهب إليه الذين تولوا الكتابة عن طب النبي عليه الصلاة والسلام ، وما جاء فيه عن عناصر بناء جسم الإنسان ، وبناء أعضائه ، وتكوين أخلاطه ، وتكييف طبائعه وأمزجته وبالتالي أمراضه ودوائه . يقول أبن القيم فى كتابه (الطب النبوي) ، وعند شرحه لحديث الحبيب عليه الصلاة والسلام[١] : (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب بن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعل ، فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه). يقول إبن القيم : ولما كان فى الإنسان جزء أرضي وجزء مائي وجزء هوائي ، قسم النبي صلى الله عليه وسلم طعامه وشرابه ونفسه على أجزاء ثلاثة.

وأبن القيم فى عرضه لطب النبي عليه الصلاة والسلام يقول أن الإنسان خلق من هذه العناصر الثلاثة : التراب والماء والهواء ، ولكنه يرفض أن يكون النار عنصراً جبلّياً فى خلق الإنسان ، ويرى أن الحرارة الضرورية لحياته حرارة مكتسبة من خارجه ولكنها ليست من خلقه . الذي حمل إبن القيم علي رفض أن يعد النار عنصراً جبلّياً في خلق الإنسان ، وإصراره علي أن الحرارة عنصراً مكتسباً من خارجه هو دفاعه عن حديث آخر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وقد أورده إبن القيم في كتابه (الطب النبوي) نقلاً عن صحيح مسلم ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (خلقت الملائكة من نور ، وخلق إبليس من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم) [٢].

و إبن القيم لا ينكر أن جسم الإنسان مكون من عناصر النار والهواء والماء والتراب ، وأن جسم الإنسان فيه كيفيات أربع هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبس ، ولكنه يخالف

الآخرين عند الإجاب عن سؤال الفلاسفة الأول : ما هو الأساس الأول لتكوين الإنسان ؟ وهو يري إن عناصر بناء جسم الإنسان ثلاثة عناصر بينما يراها غيره أربعة .

---

١ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن القيم) المرجع السابق صفحة ١٢. الحديث ، مسند الإمام أحمد . المرجع أعلاه . حديث رقم ١٧١٨٦ . خرجه أيضاً الترمزي ، وإبن ماجة،

٢ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ١٦ ، الحديث . صحيح مسلم ، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٢٨٥١

هذا هو قول الله تعالي ، وقول رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ، وهذا ما فهمه العلماء في الطب عنده ، وبخاصة إبن القيم عليه رحمة الله : إن الإنسان مكون من العناصر الطبيعية الأربعة بطبائعها الأربعة التي يتكون منها كل الوجود الطبيعي بحسب الفهم العلمي السائد علي عهد نزول القرآن . وأن مجمل قول القرآن : أن أصل خلق الإنسان كان من التراب والماء الذي صار طيناً لازباً (لزجاً) وقد تغير لونه و صار أسوداً (حمأً) ، و تغيرت رائحته حتي صار آسناً (مسنوناً) ، ثم شُكل علي صورة الإنسان (مسنوناً) ، وترك حتى جف وصارت له صلصلة مثل صلصلة الفخار ، ثم نفخت فيه الروح ، وصار كائناً حياً مكون من أعضاء وله طبائعه أساسها الحرارة والبرودة ، وله أخلاطه و منها المني ، والذي تناسل بواسطته الإنسان وصار شعوباً وقبائل .

ونحن نضيف إليه : لقد كان تكوين الإنسان في القرآن الكريم يقوم علي أساس علمي وفلسفي صحيح بحسب كيمياء أمبدقليس ، وقواعد طب أبقراط وجالينيوس والتي كانت هي أساس العلم في الطب وفي غيره من العلوم المادية الأخري علي عهد بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام .

ونضيف أيضاً : أن طبه لم يكن مثل طب العرب الجاهليين ، ولم يكن طباً لا أساس له ، أو أنه لا يقوم علي قانون علمي سليم ، أو أنه مخلوط بالسحر والشعوذة ، كما يري إبن خلدون ، أو قد يظن غيره من الناس اليوم . ولقد كان علماً ، ولكنه لم يكن (تشريعاً) ملزماً ، وما كان مما يمنع المسلمين من تطوير الطب ، وهو ما كان يخشاه ابن خلدون حسب ظني.

وهذا ما أكدته كتب الطب التى تحدثت عن المرض وأنواع الدواء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا ما أوردته كتب الأحاديث الصحاح ، فصحيح البخاري عليه رضوان الله

يورد واحداً وعشرين حديثاً عن طب النبي عليه الصلاة والسلام[١] . وهي تحتوي عدداً من أنواع الدواء التي كان يأمر بها رسول الله صلي الله عليه وسلم .

ولما كان كتاب الطب النبوي للإمام إبن القيم كافياً تماماً لغرضنا ، فإننا سوف نعتمد عليه كثيراً لبيان المعرفة العلمية والموضوعية في طب النبي عليه الصلاة والسلام

---

١ . صحيح البخاري . المرجع أعلاه . كتاب الطب . وفيه واحد وعشرون حديثا ،

وفي الأساس العلمي للصيدلة و الدواء عنده صلوات الله عليه وسلامه . ولقد كان كتاب (الطب النبوي) لإبن القيم شاملاً وموضوعياً ، وكان إبن القيم يدعم مايراه عند شرحه لأقوال المصطفى عليه الصلاة والسلام بالرجوع للأطباء أبقراط ، وجالينيوس ، و الرازي ، و بن سينا ، وكان يصف جالينيوس بالقول[١]: (فاضل الأطباء جالينيوس) جعلهم الله جميعاً من عباده المخلصين .

لقد أكد إبن القيم في كتاب (الطب النبوي) أن كل أبواب الطب التي كان يتكلم فيها الأطباء وردت في هديه صلى الله عليه وسلم وفي طبه : أولاً – العلم بالأمور الطبيعية: ثانياً في أحوال البدن : ثالثاً : الإسباب : رابعاً : العلامات خامسا : علم حفظ الصحة : سادساً : علم العلاج . ويورد الآيات الكريمة والأحاديث النبوية المطهرة التي تدعم قوله .

ننقل عن إبن القيم ملخصاً للتوضيح ، فهي في كتابه مفصلة[٢] : إن قواعد طب الأبدان ثلاثة : حفظ الصحة ، والحمية من الأذي ، وإستفراغ المواد الفاسدة . فأباح للمريض والمسافر الفطر حفظاً لصحته ، وأباح للمريض ومن به أذي من رأسه أن يحلق رأسه في الإحرام لإستفراغ الأبخرة التي يؤذي إنحباسها ، وأباح للمريض (عند الوضوء) العدول عن الماء حمية أن يصيب جسمه ما يؤذيه. وحديث (ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه ، بحسب إبن آدم لقيمات يقمن صلبه ، فإن كان لابد فاعلاً : فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه) ، ويقول : وهذا تنبيه علي الحمية عن كل مؤذ له من داخل أو خارج. ثم يواصل في ذكر الأحاديث التي توضح الطب عند رسول الله وأبواب الطب وأقسامه ويشرحها . ويختمها بالقول[٣] : فالطبيب هو الذي يفرق ما يضر بالإنسان جمعه ، أو يجمع فيه ما يضره تفرقه ، أو ينقص منه ما يضره زيادته ، أو يزيد فيه ما يضره نفصه . فيجلب الصحة المفقودة أو يحفظها بالشكل والشبه ؛ ويدفع العلة الموجودة بالضد والنقيض ويخرجها أو يدفعها بما يمنع من حصولها بالحمية .

وسنري هذا كله في هدي رسول الله صلي الله عليه وسلم شافياً كافياً ، بحول الله وقوته ، وفضله ومعونته ، فقد أرشد سبحانه عباده إلي أصول الطب الثلاثة ، ومجامع قواعده . انتهي كلام ابن القيم

---

١ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٢٠

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٢ وما بعدها

٣ . المرجع أعلاه صفحة ٥

ونحن نكتفي بما نقلنا للحديث عن طبه صلي الله عليه وسلم ، لأن العلاج بالدواء (الصيدلة) هو مرادنا و نقول : إن الصيدلة (بحسبانها طباً) عند النبي صلي الله عليه وسلم كانت علماً صحيحاً بحسب قواعد الطب والصيدلة علي أيام بعثته صلى الله عليه وسلم ، وكانت تقوم علي الأسس علمية وموضوعية يمكن ان إيجازها بالقول :

أولاً : منَع الخلط بين الطب وبين السحر ، ورفض التداوي بالسحر و تعليق التمائم والتي كانت من أكبر مظاهر الدواء في الجاهلية . وعدَّ صلي الله عليه وسلم السحر من الموبقات السبع ، ومنع التداوي به ، وبكل محرم غيره ، يقول عليه الصلاة والسلام : إن الله أنزل الداء وأنزل الدواء ، وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام[١].

ثانياً : أقر كل قواعد بناء الأجسام الطبيعية بما فيها جسم الإنسان من عناصر وكيفيات ، وذكر أن المرض الذي يكون من البرودة يعالج بالدواء الحار والذي يكون بزيادة الحرارة يعالج بالدواء البارد . فكانت الصيدلة عنده صلي الله عليه وسلم صيدلة صحيحة ، وقائمة علي قانون علمي سليم ، ولم تكن مثل صيدلة العرب الجاهليين .

ثالثاً : حثَّ علي البحث عن الدواء مهما كان الداء ، وأكد أن لكل داء دواء مهما كان الناس يجهلون طبيعة المرض أو كانوا يجهلون الدواء . جاء في مسند الإمام أحمد ، من حديث زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك ، قال : (كنت عند النبي صلي الله عليه وسلم ، وجاءت الأعراب ، فقالوا يارسول الله ؛ أنتداوى ؟ فقال : نعم يا عباد الله ؛ تداووا : فإن الله لم يضع داء ، إلاّ وضع له شفاء ؛ غير داء واحد . قالو وما هو ؟ قال : الهرم . وفي لفظ : إن الله لم ينزل داء ، إلاّ أنزل له شفاء : علمه من علمه ، وجهله من جهله)[٢]. كما روي مسلم في صحيحه . من حديث أبي زكريا ، عن جابر بن عبدالله [٣]، عن النبي صلي الله عليه وسلم . أنه

قال : (لكل داء دواء ، فإذا أُصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل). وعن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد مريضاً وأنا معه فقال : . ألا ندعوا

---

١ . كتاب جامع الأصول في حديث الرسول . أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني . حديث رقم ٥٦٢٦

٢ . إبن القيم . المرجع أعلاه ، صفحة ٨ ، الحديث ، مسند الإمام أحمد . المرجع أعلاه . حديث رقم ١٨٤٥٤ ، وسنن النسائي . المرجع أعلاه . حديث رقم ٧٥١١ أخرجه أيضاً أبوداود ، والترمذي.

٣. إبن القيم ، المرجع أعلاه ، صفحة ٨ ، الحديث ، مسند الإمام أحمد . المرجع أعلاه . حديث رقم ٣٩٢٢ ، ورقم ١٨٤٥٥

لك طبيباً ، قال وأنت تأمر بهذا يا رسول الله ، قال : نعم إن الله لم ينزل داء إلاّ وأنزل له دواء . وفي المسند والسنن ، عن أبي خزامة ، قال : قلت يارسول الله ؛ أريت رقًى نسترقيها ، ودواء نتداوي به ، وتقاة نتقيها ؛ هل ترد من قدر الله شيئاً ، فقال : هي من قدر الله .[١]

يقول إبن القيم[٢]: وفي هذه الأحاديث الصحيحة الأمر بالتداوي ، وأنه لا ينافي التوكل ، ويقول : في قوله صلى الله عليه وسلم (لكل دواء) تقوية لنفس المريض والطبيب ، وحث علي طلب ذلك الدواء والتفتيش عليه .

رابعاً: يقول إبن القيم[٣] : فكان من هديه صلى الله عليه وسلم التداوي في نفسه ، والأمر به لمن أصابة مرض في أهله . ولكن لم يكن من هديه ولا هدي صحابته استعمال الأدوية المركبة التي تسمى أقربازين ، بل كان غالب أدويتهم بالمفردات .

خامساً : أورد التجاني الماحي[٤] : جاء في الإصابة لإبن حجر العسقلاني أن الشمردل بن قباب الكعبي النجراني [وهو طبيب] كان في وفد نجران فقدم علي النبي صلى الله عليه وسلم وقال : بأبي أنت وأمي إني كنت كاهن قومي .... إلى أن قال له عليه الصلاة والسلام : ... وعليك بالسنا ولا تداوي أحداً حتى تعرف داءه ، فقبّل الشمردل ركبتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال : والذي بعثك بالحق لأنت أعلم بالطب مني.

و نحن نقول أيضاً : هذه هي المباديء التي يقوم عليها الطب و الصيدلة عند رسول الله صلي الله ، نلخصها في بالقول :

١ . البعد عن الشعوذة والسحر والدجل وتعليق التمائم .

٢ . التعامل مع الدواء بموضوعية وعلي أساس علمي .

٣ . اليقين بأن لكل داء دواء ، و إذا كنا نجهله فعلينا بذل الجهد لمعرفته

٤ . ألاّ نعطي دواء حتي نتأكد من الداء ونعرفه .

---

١ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٨ . الحديث سنن الترمزي . الإمام محمد بن عيسى بن سورة ، حديث رقم ٢١٤٤ . مطبعة دار الفكر .

٢ . إبن القيم ، المرجع أعلاه صفحة ١٠.

٣ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن القيم) ا المرجع السابق صفحة ٥

٤ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع السابق صفحة ٣٨

هذه مقومات الصيدلة عنده صلي الله عليه وسلم ، وهو الرجل الأمي ، والذي لم تكن في قريته مدرسة لتعليم الطب أو الكيمياء أو الفلسفة أو أي علم غيرها ، وما كان قارئاً ، ولم يعلمه إنسان . إنها مبادي رفيعة ، ينبغي علي كل طبيب الأخذ بها ، خاصة الشرطين الأخرين ، واللذان يؤكدان أن الطبيب الذي يلتزم بهما هو عالم بالطب ، وأنه علي ثقة مما يقوم به .

المطلب الرابع

بعض الأدوية التي وصفها النبي صلي الله عليه وسلم

إن الدواء هو كل ما يستشفي به من المرض ، ولقد كان الدواء في السابق كله من العقاقير . ولقد وصف صلي الله عليه وسلم عدداً من العقاقير ، نورد كشفاً بأسماء ما نراه مهماً منها بحسب ما جاءت في كتاب (الطب النبوي) لابن القيم دون ذكر صفحاتها ، فهي موضوع الكتاب كله ، ثم نذكر القيمة العلاجية لبعضها(١) :

إثمد ، أُترج ، أرُز (ضم الراء) ، أرْز (سكون الراء) ، إذخر ، بطيخ ، بلح ، بسر ، بصل ،بول الإبل ، تمر ، تين ، تلبينة ، ثلج ، ثوم ، ثريد ، جمار ، جبن ، حنّاء ، حبة السوداء (شونيز) ، حرير ، حُرف (ثفاء ، رشاد) ، حلبة ، خبز ، خلّ ، دهن (من البنفسج) ، ذريرة ، ريحان (الآس) ، رمّان ، زيت ، زبد ، زبيب ، زنجبيل ، سنا ، سفرجل ، سواك ، سمن ، سمك ، سِلْق ، شبرم ، شعير ، شحم (إهالة) ، صَبِر ، طيب ، طلح (الموز) ، طلع ، عنب ، عسل ، عجوة ، عنبر ، عود (ألوة) ، فاغية (نور الحناء) ، فضة ، قثاء ، قسط (كست) ، قصب السكر ، كمأة ، كباث (ثمر الأراك) ، كتم ،لحم ، لبن الإبل ، لبان (كندر) ، ماء ، مرزنجوش ، ملح ، نخل ، نورة ، نبق ، ورس ، وسمة ، يقطين .

وهذه أمثله من هديه في الدواء وعلاجه عليه الصلاة والسلام:

<u>في علاج إستطلاق البطن</u> (٢)

جاء في حديث أبي سعيد الخدري أن رجلاً أتى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : إن أخي يشتكي بطنه . فقال : (أسقه عسلاً) . فذهب ثم رجع قال : لقد سقيته فلم يغني عنه شيئا.

فقال : (أسقه عسلاً) . فقال في الثالثة والرابعة : (صدق الله وكذب بطن أخيك ، أسقه عسلاً) . فسقاه فشفى .

---

١ . شمس الدين محمد بن أبي بكر (إبن القيم) المرجع أعلاه . راجع فهرسة الكتاب ص ٣٣٢.

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٢٥ الحديث . سنن الترمزي . المرجع أعلاه ٢١٦٤ . وأيضاً صحيح البخاري ، المرجع أعلاه . حديث رقم ٥٧١٨

يقول الإمام : والعسل منه منافع عظيمة ، فإنه جلاء الأوساخ التي في العروق والأمعاء وغيرها ، محللاً للرطوبات أكلاً وطلاء ، نافع للمشايخ وأصحاب البلغم ، ومن كان مزاجه بارداًً رطباً ، وهو مغذي ملين للطبيعة ، مذهب لكيفيات الأدوية الكريهة ، منقي للكبد والصدر ، مدر للبول ، واذا شرب حاراً بدهن الورد نفع في نهش الهوام ، وإذا شرب وحده

ممزوجا بماء نفع من عضة الكلب ، وأكل الفطر القتال ، وهو غذاء من الأغذية ودواء من الأدوية . وفي تكرار سقيه العسل معنى طبي بديع ، وهو أن الدواء يجب ان يكون له مقدار وكمية بحسب حال الداء .

هدي النبي في داء الأستسقاء وعلاجه [١]

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال : قدم رهط من عرينة وعكل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فعظمت بطوننا وإرتخت أعضاؤنا ، فقال : (لو خرجتم إلى إبل الصدقة وشربتم من أبوالها وألبانها) ، ففعلوا فصحوا.

يقول إبن القيم عليه السلام : الجوى داء من أدواء الجوف ، والاستسقاء : مرض مادي ، سببه مادة غريبة باردة ، تتخلل الأعضاء فتربوا لها ، أما الأعضاء الظاهرة كلها ، وإمّا المواضع الخالية من النواحي التي فيها تدبير الغذاء والأخلاط ... ولما كانت الأدوية المحتاج إليها في علاجه هي الأدوية الحالة التى فيها إطلاق معتدل وإدرار بحسب الحاجة ..... وهذه الأمور موجودة في أبوال الإبل وألبانها ، أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بشربها . إن في لبن اللقاح جلاء ، وتليينا ً ، وإدراراً ، وتلطيفاً ، وتفتيح السدد ، لأن أكثر رعيها الشيح ، والقيصوم ، والبابونج ، والأقحوان ، والإذخر وغير ذلك من الأدوية النافعة للإستسقاء ... يقول الرازي : لبن اللقاح يشفي أوجاع الكبد ، وفساد المزاج . ويقول صاحب القانون (ابن سينا) : وأعلم أن

لبن النوق دواء نافع لما فيه من الجلاء برفق ... وأن أنفع الأبوال بول الجمل الإعرابي وهو النجيب .

---

١ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٣٥ . الحديث : سنن النسائي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٧٥٢٥ ، وأيضاً سنن الترمذي ، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٢١١٤ . و صحيح البخاري ، المرجع أعلاه . حديث رقم ٥٦٨٥

<u>في العلاج بشرب العسل والحجامة والكي</u>[١]

قال صلى الله عليه وسلم : (الشفاء في ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار . وأنا أنهى أمتي عن الكي ، وفي رواية : وما أحب أن أكتوي) .

يقول ابن القيم : ... في الأقسام الثلاث الباقية فشفاؤها بالإسهال الذي يليق بكل خلط . وكان النبي نبه بالعسل على المسهّلات ، وبالحجامة على الفصد .... فإذا أعيى الدواء فآخر الطب الكي ... وقال بعض الأطباء : الأمراض المزاجية إمّا أن تكون بمادة أو بغير مادة ، والمادية منها حارة ، باردة ، رطبة ، يابسة . وهذه الكيفيات الأربع منها كيفيتان فاعلتان ، وهما الحرارة والبرودة ... فحصل من ذلك أن أصل الأمراض المزاجية هي التابعة لأقوى الكيفيات وهي الحرارة والبرودة . فجاء في كلام النبوة في أصل معالجة الأمراض إلتي هي الحارة والباردة عن طريق التمثيل . فإن كان المرض حاراً عالجناه بإخراج الدم ، وإن كان بارداً عالجناه بالتسخين وذلك موجود في العسل ... قال صاحب القانون : و لا يؤمر بإستعمال الحجامة في أول الشهر لأن الأخلاط لا تكون قد تحركت وهاجت ، ولا في آخره لأنها تكون قد نقصت ، بل في توسط الشهر حين تكون الأخلاط هائجة ، بالغة في تزيدها .

<u>في علاج يبس الطبع وتمشيته وتليينه</u> [٢]

روى من حديث أسماء بنت عميس قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بماذا كنت تستمشين ؟) قالت : بالشُبرُم . قال : (حارٌ جارٌ) . قالت : ثم إستمشيت بالسنا . قال : (لو كان شيء يشفي من الموت لكان السنا) .

يقول إبن القيم عن السنا : دواء شريف مأمون الغائلة ، قريب من الإعتدال ، حار يابس في الدرجة الأولي يسهل الصفراء والسوداء ويقوي جرم القلب وهذه فضيلة شريفة .

١. إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٣٨ . الحديث نقلاً عن مسند الإمام أحمد . المرجع أعلاه ـ حديث رقم ٢٢٠٧ ، وصحيح البخاري ، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٥٦٨٠

٢ . إبن القيم . المرجع أعلاه ، صفحة ٥٧ . الحديث نقلاً عن مسند الإمام أحمد . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٢٧٠٨٠ ، وسنن إبن ماجة . أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني . حديث رقم ٢٨٠١ . مكتبة المعارف للنشر والتوزيع . الرياض

في علاج ذات الجنب [١]

قال صلى الله عليه وسلم : (تداووا من ذات الجنب بالقُسط البحري والزيت) . يقول إبن القيم : ذات الجنب عند الأطباء نوعان : حقيقي وغير حقيقي . فالحقيقي : ورم حار يعرض في نواحي الجنب في الغشاء المستبطن للأضلاع . وغير الحقيقي : ألم يسير يعرض في نواحي الجنب عن رياح غليظة مؤذية تحتقن بين الصفاقات فتحدث وجعاً قريباً من وجع الجنب الحقيقي ... قال صاحب القانون : قد يعرض في الجنب ، والصفاقات، والعضل التى في الصدر ، والأضلاع ... وأعلم أن كل وجع في الجنب قد يسمى ذات الجنب إشتقاقاً من مكان الألم ... يقول الإمام : ويلزم ذات الجنب الحقيقي خمسة أعراض ، وهي : الحمى ، السعال ، الوجع الناخس ، ضيق النفس ، والنبض المنشاري . والعلاج الموجود في الحديث ليس هو لهذا القسم ، لكن للقسم الثاني الكائن عن الريح الغليظ ، فإن القسط البحري ، وهو العود الهندي ، إذا دق دقاً ناعماً ، وخلط بالزيت المسخن ، ودلك به مكان الريح المذكور ، ولعق ، كان دواء موافقاً لذلك .

في علاج العُذرة[٢]

عن عائشة عليها رضوان الله ، قالت : دخل عليها رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وعندها صبي يسيل منخاره دماً ، فقال : (ماهذا ؟) ، فقالوا : العذرة أو وجع في راسه ، فقال : (ويلكن لا تقتلن أولادكن ، أيما إمرأة أصاب ولدها عذرة أو وجع في راسه ، فلتأخذ قُسطاً هندياً فتحكه بماء ثم تسعطه إياه) ، فأمرت عائشة رضي الله عنها ، فصنع ذلك بالصبي ، فبرأ .

يقول الإمام إبن القيم : العذرة : قرحة تخرج مابين الأذن والحلق ، وتعرض للصبيان غالبا ... وأمّا نفع السعوط منها بالقسط المحكوك ، فلأن مادتها دم يغلب عليه بلغم ... وفي

١ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٦٤ . الحديث نقلاً عن سنن النسائي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٧٥٤٠ ، وسنن الترمزي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٢١٦١ ، وأيضاً بن ماجة وأحمد .

٢. إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة ٧٤ . الحديث من سنن النسائي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٧٥٣٩ ، صحيح البخاري ، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٥٧١٥ . أورده أيضاً مسلم

القسط تجفيف يشد اللهاة ويرفعها إلى مكانها ، وقد يكون نفعه في هذا الداء بالخاصية ... وقد ذكر صاحب القانون في معالجة سقوط اللهاة : الُقسط مع الشب اليماني ، وبذر المرو .

الحبة السوداء[١]

ثبت في الصحيحين . من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله خنه . أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال : عليكم بهذه الحبة السوداء ، فإن فيها شفاء من كل داء إلاّ السام . والسام هو الموت .

الحبة السوداء هي الشونيز في لغة الفرس وهي الكمون الأسود ، وهي كثيرة المنافع جداً ، وهي نافعة من كل الأمراض الباردة ، وتدخل في الأمراض الحارة اليابسة بالعرض ، فتوصل قوي الأدوية الباردة الرطبة إليها بسرعة نفاذها ، وقد نص صاجب القانون علي مثله .

والشونيز حار جاف في الثالثة ، مذهب للنفخ ، مخرج لحب القرع ، نافع للبرص وحمي الربع البلغمية ، مفتّح للسدد ، ومحلل للرياح ، مجفف لبيلة المعدة ورطوباتها ، مذيب للحصاة في المثانة والكليتين ، مدر للبول والحيض ، فعله في إخراج الدود قوي ، يشفي من الزكام البارد ، دهنه نافع من الثآليل والخيلان ، نافع من البهر وضيق النفس .

ويمضي ان القيم في ذكر الأمراض التي ينفع فيها ، فهي كثيرة ، وما ذكرناه منها يكفي لمن أراد .

هذه بعض أنواع الأدوية التي وصفها النبي صلي الله عليه وسلم ، وما ذكرناه يكفي لبيان أنواع الأدوية التي كان يصفها ، وطريقة مفعولها وأثرها ، فهي كثر ، والتكرار لن يزيدها وضوحاً . فقد كانت علاجاً موضوعياً ، ومباشراً ، وبسيطاً ، وفعالاً ، وتقوم علي أسس علميه ، وبحسب قواعد الطب التي كانت سائدة علي عهد رسالته صلي الله عليه وسلم .

أختم رأيي عنها بالقول : من كان يريد أن يتحدث عن الطب والصيدلة والدواء عند رسول الله صلي الله عليه وسلم ، فعليه أن يتحدث عنها بحسبانها علماً موضوعياً ، وأنها علماً بحسب قواعد العلم الموضوعي علي عهد رسالته صلي الله عليه وسلم ، شبيهة بطب

---

١ . إبن القيم . المرجع أعلاه صفحة صفحة ٢٢٩ . الحديث من سنن النسائي . المرجع أعلاه ، حديث رقم ٧٥٣٥ . صحيح البخاري ، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٥٦٨٧ ، وسنن إبن ماجة، المرجع أعلاه ، حديث رقم ٢٧٩٦

أبوقراط وجالينيوس وأرفع الأطباء علي زمانه . وعليه أن يعلم أن الطب والصيدلة المعاصرة هي شيء مختلفاً جداً ، ولكنها كانت التطور الطبيعي لذلك الطب الرفيع . وعليه ألاّ يسجن عقول الناس متخذاً من صبغة الله تعالي ستاراً لذلك ، و ألاّ يخفي غرضه الشخصي و جهله تحت اسم رسول الله صلي الله عليه وسلم فيضر بدين الله الإسلام . فالزمان غير الزمان ، والعلم غير العلم .

المطلب الخامس

الموضوعية العلمية في طبه صلي الله عليه وسلم

هذا هو الطب والصيدلة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : علم موضوعي صحيح ، ويقوم علي أساس فلسفي وعلمي رفيع ، وعلي منهج موضوعي بحسب زمانه، وليس مثل طب العجائز الذي يقوم علي التجربة الشخصية ، والمملؤ بالسحر والطلاسم.

وإقرار القرآن الكريم للأسس الفلسفية للعلم الطبيعي ، خاصة الكيمياء والطب علي زمان نزوله ، و أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل قواعد المعرفة العلمية وقوانينها المقبولة على عهد رسالته صلى الله عليه وسلم كان له فوائد أخري رفيعة ، إلي جانب الدليل علي الإعجاز في طبه . لقد كانت لها فوائد رفيعة ليس في الطب والصيدلة وحدهما ، ولكن علي كل العلوم التي ورثتها البشرية عن الأولين خاصة اليونان . ولقد كانت هي السبب المباشر والتفسير الصحيح لقبول المسلمين لعلوم الأمم من قبلهم .

لقد سعي بعض المفكرين لتقديم المبرر لقبول المسلمين لعلوم من سبقهم من الأمم ، ولعلوم الأولين بعامة . وسعوا لإيجاد تفسير علمي إلي أن المسلمين لم يحاربوها ولم يقفوا ضدها ، وتفسير إلي أنهم عملوا علي تطويرها ، وقالوا[١] : صادف ذلك هوىً في نفوسهم لأنهم كانوا معدين عقلياً لإستقبال هذه العلوم، أو قالوا[٢] : الصحيح أنهم عرفوا هذه الحضارة لتوافقها مع تفكيرهم حينئذ . وقد غاب عليهم أصح تفسير وأقربها للموضوعية وهو : إقرار القرآن الكريم لها كلها .

لقد سعي العلماء من اليونان من بعد طاليس لتقديم الإجابة عن السؤآل : ماهي بداية بناء الوجود . ولقد أنحصر رأيهم في محورين : .

١ . وجهة نظر ليوكبوس . ديمقريطس[٣] ، والمعروفة إختصاراً ب (النظرية الذرية) ، والتي تري أن الكون كله مبني من ذرات أو جزيئآت غير قابلة للانقسام .

---

١ . الدكتور / محمد حسين كامل المرجع السابق صفحة ١٣

٢ . المرجع أعلاه صفحة ٢٠

٣ . المرجع أعلاه أعلاه صفحة ٨٧

٢ . وجهة نظر أمبدقليس التي تري أن الكون مبني من عناصر : النار والهواء والماء والتراب

ولقد أخذ أبقراط بوجهة نظر أمبدقليس وبني عليها الطب كله . و أخذ بها العلماء غيره ، ولكن قد أخذ بها في ذات الوقت عالم وفيلسوف كبيراً ، كان أكثر خطراً في كل تاريخ البشرية عن كل ما سواه من العلماء والفلاسفة وهو: أرسطو[١] حتي نسبها الناس إليه . وأرسطو وأبقراط كانا هما من حددا مسيرة العلم البشري حتي عهد قريب . ورأي أبقراط وأرسطو هو ما أقره القرآن الكريم ، وهذا ما جاء به الذكر الحكيم .

إن إقرار القرآن الكريم لقواعد و نظرية العناصر الأربعة ، وإقراره لكل قواعد العلم الطبيعي التي كانت سائدة قبل عهد نزوله ، وإقراره لوجهة نظر أمبدقليس في الكيمياء وأرسطو في العلوم الإخري خاصة البيولوجي ، ومنهج أبقراط وجالينيوس في الطب . وعثور المسلمين علي ما قال به أرسطو وأبقرط عند ترجمة تراثهما أنه موجود في القرآن ، هي التي جعلت المسلمين يسعون للأخذ بها ، والإحتفاء بها وتطويرها ، وإكرام هؤلاء العظماء من العلماء.

وهذا ما توصلنا إليه بعون الله ، ونري أنه الرأي السديد : أن إقرار القرآن الكريم لكل أسس العلوم الطبيعية في ذلك الزمان جعلت الطب والصيدلة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم يقومان علي أسس علمية ، وأكدت أن الطب والصيدلة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم لم تكونا مثل طب وصيدلة العرب الجاهليين . أو أنها لا تقوم علي أساس علمي ، ولا علي موافقة المزاج ، أو أنها مبنية علي تجربة قاصرة ، ومتوارثة عن مشائخ الحي ، أو أنها مملوءة بالسحر والشعوذة . ولكنها تكشف أن العلم الطبيعي كله كان عند رسول الله

ديمقريطس : عالم يوناني ولد في أبديرة من أعمال تراقيا عام ٤٦٠ ق م ، سافر إلي بلاد كثيرة منها مصر ، فارس ، الهند ، وقد قابل سقراط وتعرف عليه ، كان تلميذاً للفيلسوف ليوكيبوس ، قال بأن المادة تتكون من ذرات ليست لها نوعية ، وفي حركتها تتشابك أو تتصادم بحيث يدفع بعضها بعضاً ، ومن هذه الذرات ينشأ الكون كله ، وقد أيد العلم المعاصر فهمه هذا لطبيعة المادة . توفي عام ٣٧٠ .

١ . الدكتور عمر فروخ . المرجع السابق . صفحة ١٠٤

أرسطو ، يوناني من أهل مقدونيا . ولد عام ٣٨٤ ق م وتوفي عام ٣٢٢ ق م ، كان أستاذ الإسكندر الأكبر ، وهو فيلسوف الروم ، وعالمها ، وجهبذها ، ونحريرها ، وخطيباها ، وطبيبها ، غلب عليه علم الفلسفة وكتب فيه ، وكتب في النبات والحيوان ، وهو مؤسس علم تشريح الحيوان المقارن ، وعلي هديه سار الآخرون .

صلي الله عليه وسلم علماً موضوعياً . و يقوم علي أسس موضوعية ، وعلي القانون العلمي . ويؤكد أن رسالة المصطفي صلي الله عليه وسلم كانت ، وسوف تظل ، هي أرشاد الناس إلي الجبار الأعلي ، وإلي الله تعالي .

و أقول أيضاً : علينا نحن اليوم أن نعلم :

أولاً : . أن الطب والصيدلة عند رسول الله صلي الله عليه وسلم كانت تقوم علي أسس علمية صحيحة ، ولم تكن مثل طب وصيدلة العرب الجاهلين المشحونة بالسحر والشعوزة والموروثة عن عجائز الحي وشيوخه .

ثانياً : . أن الطب والصيدله في القرآن الكريم كانت من الأدلة القاطعة علي أن القرآن الكريم منزّل من عند الله تعالي ، وأن النبي صلي الله عليه هو رسول الله تعالي ، وأن طبه صلي الله عليه وسلم كان بوحي من عند الله تعالي ، فالنبي صلي الله عليه وسلم كان رجلاً أمياً وما كان قارئاً ، ولم تكن في قريته مدرسة للطب أو الصيدلة ، ولم يتلقي العلم عن غيره من البشر .

ثالثاً : فتحت الباب أمام المسلمين للأخذ بعلوم الأولين . ما كان المسلمون سوف يقبلون بما تركه أرسطو وأبوقراط وديوسقوريدس وجالينيوس وغيرهم من العلماء والفلاسفة والكيمائيين والأطباء والصيادلة لو لم يقره القرآن الكريم أو لو أنه وقف ضده ، ولن يقبلون بعلوم اليونان أو الفرس أو الهنود أوالمصريين . وما كانوا سوف يسعون لترجمتها ، أو الأخذ بها ، وهو ما كان ضرره سوف يكون كبيراً علي العلم الإنساني

رابعاً : . كما حافظ علي مسيرة العلم البشري كله وعلي خطوات تطوره ، وساعد في دفعه إلى الأمام ، فإقرار القران الكريم لقواعد المعرفة الطبيعية قبل عهد نزوله وأخذه بها ، كان موقفا علمياً وموضوعياً سليماً

خامساً : . علينا أن نعلم أن أي معرفة علمية عن الطب أقرها القرآن الكريم ، أو أخذ بها الحبيب عليه الصلاة والسلام ، كانت هي المعرفة العلمية المقبولة في ذلك الزمان ، وأنها من علم الأولين . وعلينا أن نعلم أن أي تفسير لها على حسب قواعد المعرفة المعاصرة اليوم لن يستقيم أبداً ، وأن التناقض فيه سوف يكون بيناً ، وسوف يكون التفسير متعسفاً ، وسوف ينسب لكتاب الله القصور .

سادساً : . أن نعلم إن إقرار القرآن الكريم لكل القواعد الفلسفية للعلم الطبيعي ، وللطب على عهد نزوله ، هو تصريح لنا غير مشروط ، وتفويضاً كاملاً لنا لنأخذ بكل قواعد العلم على أيامنا وفي كل أشكالها ، فقد تطور العلم كثيراً .

سابعاً : . علينا أن نضع الضوابط القانونية والأخلاقية الصحيحة لمارسة (الطب بالنباتات) أو (الطب الشعبي) أو (الطب البديل) كما يحلوا لبعض الناس تسميته ، وأن لا نسمح بالممارسات الخاطئة في الطب تحت ستار أن هذا من (طب النبي) صلي الله عليه وسلم . و أن نعلم أن (طب) الرسول عليه الصلاة والسلام الحقيقي هو : هداية الناس إلي الجبار الأعلي ، وشفاء (قلوبهم) من الوسواس الخناس . أما الطب الذي أقره القرآن وأخذ به الرسول صلي الله عليه وسلم كان هو طب أبقراط وجالينيوس ، وكان علماً موضوعياً بكل مقاييس العلم علي ذلك الزمان .

المبحث الخامس

التطور التاريخي للصيدلة وتشريعاتها في السودان

ويشتمل علي المطالب التالية :

المطلب الأول : الصيدلة قبل دخول الإنجليز للسودان

المطلب الثاني : الصيدلة بعد دخول الإنجليز للسودان

المطلب الثالث : الصيدلة بعد استقلال السودان

المطلب الأول

الصيدلة قبل دخول الإنجليز للسودان

عندما نال السودان إستقلاله السياسي عام ١٩٥٦ من دولتي الحكم الإنجليزي . المصري ، كان هو الدولة الأكبر مساحة في أفريقيا ، وكانت مساحته تبلغ نحواً من مليون ميل مربع . والسودان من الناحية التاريخة يعتبر دولة حديثة التكوين ، فإنه لم يصبح دولة موحدة إلاّ في ظل الحكم التركي . المصري (١٨٢١ . ١٨٨٥)[١] .

ولقد كان السكان الأصليون لأرض السودان ، قبل الغزو التركي ، هم من القبائل الحامية ومن النوبيين في الشمال ، ومن القبائل الأفريقية في الجنوب. و كانت صلة الشماليين بمصر قوية جداً منذ أمد بعيد في التاريخ ، بينما كان سكانه في الجنوب في شبه عزلة مقدسة عن العالم الخارجي . وعندما دخلت المسيحية في السودان الشمالي نشأت ثلاث دويلات مسيحية هي : نوباتيا ، والمقرة ، وعلوة[٢]. ثم بدأ الإسلام يدخل تدريجياً في الشمال وتحول سكان الشمال إلي الإسلام ، لتقضي سلطنة الفونج الإسلامية علي تلك الممالك[٣]. وهي بدورها قضي عليها الغزو التركي . المصري عام ١٨٢١ ، ولقد مد الأتراك نفوذهم جنوباً حتي وصلوا إلي غندكرو القريبةً من جوبا الحالية[٤] ، ووحدوا الشمال والجنوب ، وأنشأوا السودان الحالي.

ولقد كان للمهدية (١٨٨٥ . ١٨٨٩) ، رغم قصر عمرها وطابعها الديني المتزمت ، الدور الواضح في خلق روح الوطنية السودانية[٥] ، ووحدت شعب السودان أرضاً ووعياً ، ولما جاء الغزو الإنجليزي . المصري عام ١٨٩٨ ، وجد السودان دولة وشعباً وثقافة موحداً تماماً .

وله قيمه المميزة له ، في الشمال : عربية و إسلامية ، وفي الجنوب : قبائل أفريقية ، لكل قبيلة منها معتقداتها وثقافاتها التي تميز كل قبيلة عن أختها .

---

1 -Ahmed Bayoumi – The History of Sudan Medical Services - Kenya Literature Bureau - Nairobi - First Edition 1979 – Page 17

- مع معرفة أن كل ذلك كان قبل إنقسام السودان ، وقبل إنفصال الجنوب.

2 – 3 - Abid - page 23
4 - Abid - page 28
5 - Abid - page 25

كان عدد سكان السودان في هذه المساحات الشاسعة قليلاً جداً ، فحتي عام ١٩٤٠ لم يكونوا يزيدون علي خمسة ملايين وأربعمائة ألف نسمة (٥,٤ مليون). ولقد تضاعف تعداد السكان في السنوات التالية وفق المتوالية التالية[1]:

العام	العدد بالمليون
١٩٤٥	٦,٩
١٩٥٠	٨,٦
١٩٥٥	١٠,٧
١٩٦٠	١٢
١٩٦٥	١٣,٥
1970	١٥,٧

وكانت كل شعوب السودان شعوباً بسيطة ، وتسود وسطها الأمية إلاّ من بعض العلماء وشيوخ الطرق الصوفية في الشمال . وكان نحواً من ٨٨% منهم يسكنون في المناطق الريفية ، وتنعدم لديهم تماماً سبل المواصلات الحديثة.

ولقد كان الحكم التركي . المصري في أغلب عهده حكماً عسكرياً . وكانت المهدية حكماً شديد التركيز . و لم تتطور أجهزة الدولة ومنها الخدمات الطبية إلاّ في ظل الحكم الإنجليزي . المصري حتي تسلمها الحكم الوطني . ولقد لعب نظام الحكم وإدارة السودان منذ عام ١٨٢١ وحتي عام ١٩٥٦ ، وتخلف شعب السودان وأميته ، و التمايز الثقافي والديني (فرعوني .

عربي . إسلامي . أفريقي تقليدي) دوراً كبيراً علي نوع الطب و طبيعة العلاج . فشعب السودان لم يعرف الطب والصيدلة الأوربية الحديث إلاّ منذ وقت قريب ، وبعد دخول الأتراك .

يقول إبراهيم قاسم مخير[2]: إن مهنة الصيدلة حديثة نسبياً في السودان ، كما تنعدم المراجع التاريخية السليمة التي تحدد متي إنفصلت مهنة الصيدلة عن مهنة الطب . وأقرب

---

1 - Abid - page 6

2 - Ibrahim Gassim Mukhayer – An Approach to the development of hospital pharmacy in the Sudan – Page 5 - Study Presented for PhD Degree - Copy in Sudan Bookshop U of K

الإحتمالات أن العرب عند دخولهم للسودان من الشرق والشمال قد نقلوا الصيدلة العربية للسودان ، فقد كانت أسماء إبن البيطار والرازي وإبن سينا وداوود الأنطاكي وطبهم معروفة للسودانيين ، وقد كان الطب والصيدلة وقتها مخلوطة بالسحر والإعتقاد في تأثير الرجال المتقين . ويفصِّل ذلك أحمد بيومي مضيفاً[1] : أن أغلب العلاج التقليدي في الشمال كان مأخوذاً من الإرث العربي الغني في إستعمال النباتات الطبية بجانب الممارسات التي يقوم بها بعض رجال الدين (الفقراء) ، والذين يقرأون بعض آيات القرآن (العزيمة) ، أو يستعملون بعض الأحجبة أو التعاويذ ، وقد ذكر التجاني الماحي[٢] أن بعض هذه التعاويذ ذات أصول بابلية أو سريانية أو عبرية .

ويواصل أحمد بيومي[٣] : كما قد يحرقون هذه التعاويذ أو ثمار القرض من أجل دخانه (البخرة) في العلاج ، أو قد يكتبوا بعض آيات القرآن علي الواح من الخشب ويغسلونها ليشربها المريض (المحاية) أو يعلقونها علي بعض أجزاء جسمهم (الحجاب) . وفي الطب النفسي كانوا يقرأون بعض آيات القرآن وقد يضربون معها المريض بالسوط من أجل شفائه قائلين أن هذا لا يؤلم المريض وأنما يؤذي الروح الذي يمسه (الجن)[٤] ويطردها . وقد ذكر إبن القيم أن شيخه كان يعالج صرع الأرواح بمخاطبة الروح فتجيبه ، وقد يضربها إذا كانت ماردة فيفيق المريض، وأنه شاهد ذلك[5] ، ونحن نقول : ما زال هذا الشكل من العلاج موجوداً في شمال السودان .

أما في جنوب السودان فيقول أحمد بيومي[6] : فقد كانوا إلي جانب العلاج بالنبات وبعض أجزاء الحيوان يلجؤن للعرافين والمعالجين بالسحر. ففي جبال النوبة في وسط السودان يقوم الكجور (Kijur) بالمعالجة بالنباتات ، أو بدوْر المخاطب للروح والوسيط

1 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 38 – Taken from (Halim A.A Native Medicines and Ways of Treatment In Northern Sudan)

٢ . دكتور/ التجاني الماحي المرجع الأعلاه صفحة ١٨ وكذلك صفحة ٤٤

3 - 4 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 39

٥ . إبن قيم الجوزية . الطب النبوي . المرجع أعلاه . صفحة ٥٢

6- Ahmed Bayoumi - Abid - page 76

بينها وبين المريض . أمّا في بلاد الدينكا فيقوم المعالج بالسحر (تيت وال tiett wal) بنفس الدور الذي يؤديه الكجور لدي النوبة . وفي بلاد الزاندي فهم يؤمنون بوجود كائن أعلي (Supreme Being) وهو أمبوري (Mbori) وهم يلجأُون إليه بالدعاء طلباً للشفاء مع إستعمال الدواء .

إن الطب والصيدلة في السودان ، كان خليطاً من الطب العربي المتأثر بطب إبن سينا والرازي وغيرهم ومن الطب المخلوط بالسحر والشعوذة . ولم يعرف شعب السودان الطب والصيدلة الحديثة إلاّ بعد إحتلال الأتراك للسودان . وفي ذلك يتفق كل من أبراهيم قاسم مخير[1] وأحمد بيومي[2] في القول : وعندما فرض الأتراك سلطتهم علي مصر والسودان أدخلوا الصيدلة الحديثة والطب معهم . ويواصل أحمد بيومي قائلاً [3]: إنها كانت مقصورة بصورة أساسية في الفيلق الطبي في خدمة الجيش ، وقبل إنتصار المهدويين بقليل أنشأ الأتراك مستشفاً كبيراً في الخرطوم لخدمة المواطنين كان يديره بعض الأطباء من الفيلق المصري ، كما فُتحت عدد من مخازن الأدوية في المدينة يديرها بعض التجار الإغريق[4] .

أمّا المهدية فقد قضت تماماً علي الطب الذي أدخله الأتراك ، ولم يتبق غير طبيب واحد كان من بين أسرى الأنصار كما يقول أبراهيم قاسم[5] : وفي فترة سلطة المهدية كان أحد الأطباء الذي أسرهم المهدويون طبيباً معروفاً . يضيف عنه أحمد بيومي[6] أن اسمه حسن زكي ، وأنه عمل مستشاراً طبياً لحكومة المهدي ، وأنه عالج المهدي من مرض التايفويد ، ناسباً هذا القول لسلاطين .

1 - Ibrahim Gassim Mukhayer - Abid - page 6
2 - Ahmed Bayoumi - Abid - page 77
3 - Abid - page 77
4 - Ibrahim Gassim Mukhayer - Abid - page 7
5 - Abid - page 6
6 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 84

المطلب الثاني

الصيدلة بعد دخول الإنجليز للسودان

أمّا بعد الإحتلال الإنجليزي . المصري عام ١٨٩٨ فقد أخذت الخدمات الطبية والعلاجية شكلاً مختلفاً وقابلاً للتطور . فقد أنشأت الحكومة عام ١٩٠٤ أول إدارة للطب تابعة للفيلق الطبي(Medical Corps) التابع للقوات المسلحة باسم القسم الطبي (Medical Department) [١] ولكنها كانت تتولي أمر الصحة العامة ، وقد إستمرت حتى عام ١٩٢٤ لتتحول إلي الخدمة الطبية السودانية ، وبعد عام ١٩٤٨ تحولت إلي وزارة الصحة .

ولقد شيدت الحكومة المستشفيات والمراكز الصحية والشفخانات لعلاج المواطنين ، وأخذت أعدادها في التزايد ، وتزايدت أيضاً أعداد الأطباء خلال فترة الحكم الإنجليزي . المصري وبعد إستقلال السودان وحتي عام ١٩٦٩ وفق هذا الجدول[٢] :

العام	المستشفيات	المراكز الصحية	الشفخانات
١٩٠٤	٧	.	.
١٩٠٩	٩	.	.
١٩١٤	٩	.	.
١٩١٩	١٢	.	١١
١٩٢٤	٢٠	.	٥٥
١٩٢٥	٢٠	.	٦٥
١٩٣٠	٤٧	.	١٤٦
١٩٣٥	٤٠	.	٢٩٦

١٩٤٠	٤٠	.	٣٢٧
١٩٤٥	٤٠	٨	لم تسجل
١٩٥٠	٤٢	١٩	لم تسجل
١٩٥٥	٤٩	٢٠	لم تسجل
١٩٦٠	٦٠	٣٩	٤٥٩
١٩٦٥	٧٣	٦٢	٥٤٤
١٩٦٩	٧٧ (٣٩ تحت التشييد)	٧٩ (٢٩ تحت التشييد)	٦٢٥ (٣٦ تحت التشييد)

1 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 90 & 94
2 - Abid - page 91

جدول أعداد الأطباء في ظل الحكم المصري . الإنجليزي وبداية الحكم الوطني [١] .

العام	أطباء أجانب	أطباء سودانيين
١٩٠٤	٥	.
١٩٠٩	٣٩	.
١٩١٤	٣٩	.
١٩١٩	٤١	.
١٩٢٤	٤٦	.
١٩٢٥	٥٤	.
١٩٣٠	٧٣	١٩
١٩٣٥	٤٩	٥٣
١٩٤٠	٤٤	٦٣
١٩٤٥	٤٤	٦٩
١٩٥٠	٥٥	٩٢
١٩٥٥	٥٣	١٧٤
١٩٦٠	٣٤	٢٩٣
١٩٦٥	١٣	٤٧٠
١٩٦٩	.	٨٧٤

1 -Ahmed Bayoumi - Abid - page ٩١

المطلب الثالث

الصيدلة بعد استقلال السودان

وبالمقابل فإن مهنة الصيدلة ظلت ضعيفة جداً وكانت أعداد الصيادلة قليلة جداً ولا دور لهم في الخدمة الطبية . فحتي عام ١٩٦٨ ، وهو العام الذي تخرجت فيه أول دفعة من طلاب كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم ، وبداية عام ١٩٦٩ ، العام الذي تنتهي إليه الإحصائية أعلاه ، لا نجد في حكومة السودان ، وفي وزارة الخدمة والإصلاح الإداري ، وهي الوزارة المنوط بها تحديد كشف الوظائف في جمهورية السودان ، لا نجد تعريفاً لمهنة الصيدلي و لا نجد تعريفاً لمهنة الصيدلة في القطاع المهني الإداري في الخدمة المدنية مثل بقية الخريجين من أطباء وبياطرة وزراعيين وغيرهم[١] . ولقد كان عدد الصيادلة العاملين في المستشفيات محدوداً جداً.

ولقد تطورت مهنة الصيدلة في السودان قبل عام ١٩٦٤ ومنذ الفتح الإنجليزي . المصري ببطء شديد ولم تكن مثل مهنة الطب . يقول أبراهيم قاسم[٢] : ولما تم إحتلال السودان بالقوات الإنجليزية . المصرية كان مع الجيش الغازي عدد من الصيادلة والأطباء من ضمن الفيلق الطبي (Medical Corps) ، ولقد كان أكثر الصيادلة من الشوام ، وكان أحدهم يسمي المستر ج . ن . مرهج (Mr.G.N. Morhig) . والذي ترك الخدمة في الجيش وأسس أول صيدلية خاصة به في الخرطوم .

و يواصل إبراهيم قاسم[٣] : كانت المحاولات الأولي لتطوير الصيدلة قد بدأت في الربع الأول من القرن العشرين عند تأسيس أول مستشفي عام ١٩٠٨ والذي أفتتحت فيه صيدلية ، وقد اسندت إدارتها لأحد الصيادلة البريطانين ، والذي أعير من القوات البريطانية في الخرطوم . وأخيراً تم تعيين صيدلي مؤهل كان قد تخرج من جامعة بيروت لإدارتها. هذا

---

١. لقد تابعت أنا شخصياً إجراءات فتح وظائف للصيادلة في القطاع المهني الإداري أمام اللجنة التي كونتها وزارة الخدمة في ذلك الوقت ، والمعروفة بلجنة (الكادر) ممثلاً لطلاب كلية الصيدلة حتي تم فتح وظائف للصيادلة.

2 – 3 - Ibrahim Gassim Mukhayer - Abid - page 6

الخريج هو مستر ن . سلمان (Mr. N. Saman). والذي تولي إلي جانب إدارة الأجزخانة تدريس طلاب كلية الطب عند تأسيسها عام ١٩٢٤ علم الفارمكولوجي والعلاجيات. كما كان طلاب الطب أيضاً ينالون تدريباً عملياً علي يديه في الصيدلية ، وعلي كيفية إعداد الدواء وخلطه وتجهيزه وصرفه . كما كان مستر سلمان يقوم إيضاً بتدريب بعض مساعدي الصيدلة.

ومع تنامي أعداد المنشآت الصحية من مستشفيات ومراكز صحية وشفخانات ، وتزايد أعداد الأطباء وإنعدام الصيادلة في المؤسسات العلاجية ، فقد تولي أمر الصيدلة منذ البداية الأطباء أنفسهم ، وبدأ العمل في تدريب الكوادر المساعدة لتساعد الأطباء في العمل الطبي ولتتولي أمر الصيدلة أيضاً ، فأنشئت أول مدرسة للمساعدين الطبيين عام ١٩١٨ في مدينة بورتسودان ، وكانوا ينالون مع أساسيات علم الطب والجراجة كورساً في الصيدلة ، وأخذت أعدادهم في الزيادة ليبلغ عددهم عام ١٩٦٦ إلي ٨٠٠ مساعد طبي[١].

ومنذ عام ١٩٣٦ تم الشروع في تدريب عدد من مساعدي الأطباء الذين أظهروا قدرات واضحة في ممارسة الصيدلة ليكونوا مساعدي صيادلة ، وكانوا يمنحون فترة تدريب لمدة عامين ، وقد بلغ عددهم حتي عام ١٩٥٢ سبعة وعشرين مساعد صيدلي (٢٧) [٢] . وفي عامي ٥٣ و ٥٤ بدأ إستيعاب عدد خمسة طلاب في كل عام من الذين لديهم معرفة أكبر في الرياضيات والإنجليزي ، وكانوا من غير المساعديين الطبيين ، وتم تدريب كل مجموعة لمدة عام واحد . وهكذا يكون عدد الذين تدربوا ليكونوا مساعدي صيدلة سبعة وثلاثين (٣٧) مساعد صيدلي[٣] . ومنذ العام ١٩٥٨ وحتي عام ١٩٦٦ تم تدريس عدد تسعة وعشرين طالباً (٢٩)

من الذين نالوا الشهادة السودانية ، علي دفعات ، كل دفعة لمدة ثلاث سنوات ليكونوا أجزجية (Dispensers) . ومن ثم توقف تدريس الأجزجية بعد إفتتاح كلية الصيدلة عام ١٩٦٤ .

أمّا عن الصيادلة فيواصل إبراهيم قاسم[٤] : ولقد كان إستهلال تدريس الطب ، ورعاية وزارة الصحة له بعد الأستقلال منارة في تاريخ الطب والصيدلة في السودان ،

---

1 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 144
2 - 3 - Abid - page 157
4 - Ibrahim Gassim Mukhayer - Abid - page 7

وحفَز ذلك الجهود لتأسيس كلية للصيدلة ، فتوجت بتأسيس كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم ، وتم إفتتاحها في عام ١٩٦٤ بأستيعاب أول دفعة لها . وقد أسندت مهمة تأسيسها لبروفسير دارسي (Profesor P. F. D'Arcy) عام١٩٦٢ ، وقد صار عميداً لها ، والذي قال عند إفتتاحها عام ١٩٦٤[١]: (Pharmacy in Sudan is as yet an infant, but nevertheless an infant with great potentialities)

وقبل إنشاء كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم كان تزايد أعداد الصيادلة بطيئاً جداً ، فمنذ إنشاء القسم الطبي عام ١٩٠٤ وحتي عام ١٩٤٠ كان عدد الصيادلة ثلاثة فقط[٢]. وعندما نال السودان إستقلاله عام ١٩٥٦ لم يكن في السودان غير ثلاثة عشر صيدلياً[٣]. وحتي عام ١٩٦٨ ، لم يكن في وزارة الصحة إلاّ ثمانية من الصيادلة ، ولقد كان أغلبهم يعمل في مستشفي الخرطوم [٤].

---

1 -Ahmed Bayoumi - Abid - page 157

2 . حسب السجل الدائم للصيادلة الذي يصدره المجلس الطبي هم :

١ . سامي مرقص نيروز تخرج في يونيو ١٩٢٧ رقمه في السجل ٢٧
٢ . إبراهيم قاسم مخير تخرج في يناير ١٩٣٧ رقمه في السجل ١٨
٣ . يوسف بابكر بدري تخرج في يناير ١٩٣٧ لم يسجل إسمه في المجلس الطبي

٣ . الباقين حسب المرجع أعلاه هم :

٤ . جوزيف مرعي قرنفلي تخرج في يناير ١٩٤١ رقمه في السجل ٨
٥ . مشرقي غبريال مشرقي تخرج في يتاير ١٩٤٤ رقمه في السجل ١٢
٦ . شفيق لوقا حبشي تخرج في يناير ١٩٤٤ رقمه في السجل ٢٠
٧ . فكري عازر ابوجيمي تخرج في يناير ١٩٥١ رقمه في السجل ٥
٨ . عثمان مكي فضل الله تخرج في يوليو ١٩٥١ رقمه في السجل ٢٩
٩ . يوسف عمر الحضري تخرج في يوليو ١٩٥١ رقمه في السجل ٥٢

١٠. وليم لوقا حبشي تخرج في يناير ١٩٥٣ رقمه في السجل ٢
١١. أنطون خليل عبدالمسيح تخرج في يناير ١٩٥٣ رقمه في السجل ٢٢
١٢ . فكتور بولس بطرس تخرج في يناير ١٩٥٤ رقمه في السجل ٤
١٣ . صالح سليمان عيسي تخرج في يونيو ١٩٥٤ رقمه في السجل ٥٤.

٤ . هم حسب ما ذكر لي دكتور عبدالرحمن الرشيد (أنا أعرف سبعة منهم معرفة شخصية) :
١ . صالح سليمان عيسى . ٢ . عمر طه القباني . ٣ . عبدالرحمن الرشيد . ٤ . حسن محمد أحمد . ٥ . محمد عوض الحويج . ٦ . كمال صالح . ٧ . الحاج إبراهيم عبدالقادر . ٨ . حسن عبدالوهاب

واليوم قد صدقت نبؤة بروفسير / دارسي التي قالها لحظة إفتتاح كلية الصيدلة ، فقد أدي إفتتاح كلية الصيدلة بجامعة الخرطوم إلي تغيير جذري في مهنة الصيدلة وفي أعداد الصيادلة . فحتي نهاية عام ٢٠١١ ، وحسب كشف السجل الدائم بالمجلس الطبي ، هناك نحواً من عشر ألف صيدلي مسجل لدي المجلس الطبي (١٠,٠٠٠) ، وهناك ست عشر (١٦) كلية للصيدلة في السودان . وصارت الصيدلة علماً راسخاً ، ومهنة رفيعة .

أمّا من الناحية الإدارية والقانونية فقد كانت الصيدلة تخضع لإشراف وزارة الصحة ممثلة في مجلس الصحة العامة ، والذي كانت تخضع له كل المهن الطبية والطبية المساعدة ، وقد صدر أول قانون ينظم الصحة العامة سنة ١٩١٢ ، وهو قانون الصحة العامة لسنة ١٩١٢ ، ثم أضيق إليه قانون الصحة العامة لسنة ١٩٢٤ ، و ظل القانونان ساريين في نفس الوقت معاً[١]. حتي ألغيا بواسطة قانون الصحة العامة لسنة ١٩٣٩[٢] . وقد صدر معه في نفس اليوم أول قانون خاص بتنظيم الصيدلة (مهنة وتجارة) وهو قانون الصيدلة والسموم لعام ١٩٣٩[٣] ، وذلك في يوم ١٩٣٩/٨/٣١ .

ولقد جعل قانون الصيدلة والسموم لسنة ١٩٣٩ من مجلس الصحة العامة هو الجهة التي تشرف علي الصيدلة في السودان . وقد ألغي قانون الصحة العامة لسنة ١٩٣٩ بواسطة قانون الصحة العامة لسنة ١٩٧٥[٤] . وهذا بدوره ألغي بواسطة قانون الصحة العامة لسنة ٢٠٠٨ [٥] .

ولقد ظلت الصيدلة ، خاصة في تسجيل الأدوية وفي الترخيص بتجارتها ، واحدة من الإدارات التابعة لوزارة الصحة العمومية حسب قانون الصيدلة والسموم لسنة ١٩٣٩ ، والذي ألغي بواسطة قانون الصيدلة والسموم لسنة ١٩٦٣[٦] ، وقد أبقي علي إدارة الصيدلة

---

١ . راجع المادة (٢) من قانون الصحة العامة لسنة ١٩٣٩

٢ . طبعة قوانين السودان لسنة ١٩٥٤ ' المجلد السابع ، الفصل ٢١ ، الفرع ١
(Sub-title 1 Public Health Ordinance)

٣ . طبعة قوانين السودان لسنة ١٩٥٤ ، المجلد السابع ، الفصل ٢١ الفرع ٣ صفحة ١٧٧
Title XXI Medicine and Public health((Sub-Title 3 Pharmacy and posion Ordinance)

٤ . قانون رقم (٦) لسنة ١٩٧٥

٥ . قانون رقم (١٨) لسنة ٢٠٠٨ وقد صدر في ٢٧ / ٧ / ٢٠٠٨

٦ . قانون رقم ٣٧ لسنة ١٩٦٣

إدارة من إدارات مجلس الصحة العامة إلي أن صدر قانون الصيدلة والسموم لسنة ٢٠٠١ والذي جعل من الصيدلة ، خاصة في تسجيل الأدوية وفي الترخيص بتجارة الأدوية ، مسئولية المجلس الإتحادي للصيدلة والسموم بدلاً من وزارة الصحة ، وهذا القانون بدوره قد ألغي بواسطة قانون الأدوية والسموم لسنة ٢٠٠٩ . وفي قانون الأدوية والسموم لسنة ٢٠٠٩ أصبحت مسئولية الأدوية وتسجيلها وتصنيعها والسماح بتداولها تابعة للمجلس القومي للأدوية والسموم . و لمّا لم يرد في قانون الأدوية والسموم لسنة ٢٠٠٩ أي نص للترخيص بتجارة الدواء وبالتصديق للمنشآت الصيدلانية ، فقد صارت الموافقة أو الترخيص للمنشآت الصيدلانية وتفتيشها من مسئولية كل ولاية علي حدة . وسوف تصبح الولايات هي من يمنح التصديق أو الترخيص بتداول الدواء وتجارته . ولهذا عند حديثنا عن الترخيص سوف نستعين بقانون ولاية الخرطوم لأن أغلب المنشآت الصيدلانية ، حسب التعريف الوارد لها في المادة (٣) من قانون الأدوية والسموم ، خاصة مصانع الأدوية ومستودعات الأدوية توجد في ولاية الخرطوم .

ومن الإدارات التي صارت لها إشراف علي مهنة الصيدلة هناك المجلس الطبي . فالمجلس الطبي هو المسئول عن تأهيل الصيادلة وتسجيلهم ، والسماح لهم بممارسة مهنة الصيدلة ، ومنعهم من ممارستها ، ومحاسبتهم ، وذلك حسب قانون المجلس الطبي لسنة ١٩٩٣ تعديل ٢٠٠٤ . وهو ما سوف نتطرق إليه بتفصيل أكبر في بابه .

ولقد صدر أول قانون للمجلس الطبي في عام ١٩٥٥[١]، وقد نص ذلك القانون علي أن يكون المجلس الطبي مسئولاً عن الصيادلة دون أن يلغي سلطات مجلس الصحة العامة عليهم . ولما كان المجلس الطبي لم ينشأ في ذلك الوقت فقد ظل مجلس الصحة العامة هو المشرف علي الصيادلة إلي أن باشر المجلس الطبي نشاطه . ولقد ألغي قانون المجلس الطبي السوداني لسنة ١٩٥٥ بواسطة قانون المجلس الطبي لسنة ١٩٧٣ . والذي ألغي بواسطة

قانون المجلس الطبي لسنة ١٩٨٦ ، وهذا أيضاً بدوره أُلغِي بواسطة قانون المجلس الطبي السوداني لسنة ١٩٩٣[١] ، والذي تم تعديله عام ٢٠٠٤ ، وهو القانون الساري اليوم .

من مجمل التطور التاريخي للصيدلة وللقوانين المنظمة لها نستطيع القول أن القوانين التي

---

١ . قانون رقم ٧ لسنة ١٩٥٥ الصادر في يوم الحادي والثلاثين من شهر مارس سنة ١٩٥٥

تحتوي الأحكام القانونية المنظمة للصيدلة اليوم هي : .

١ . قانون المجلس الطبي السوداني لسنة ١٩٩٣ تعديل ٢٠٠٤ [١] .

٢ . قانون الأدوية والسموم لسنة ٢٠٠٩ .

٣ . القانون الخاص بكل ولاية ، وهنا سوف نتّخذُ من قانون الصيدلة ولاية الخرطوم لسنة ٢٠١٢ الأساس لحديثنا عن الترخيص للمنشآت الصيدلانية ، ولوصف الدواء وصرفه ، ومراقبة تداوله في المجتمع .